النشرة

العدد الأول - ٢٠١٤
تصدرها
بطريركيّة أنطاكية وسائر المشرق
للروم الأرثوذكس

رئيس التحرير:
الأسقف غطاس هزيم

هيئة التحرير:
معهد اللاهوت - البلمند
الأرشمندريت ديمتري منصور
الأب جبرائيل اللاطي
الأب بسام ناصيف

المحاسبة والتوزيع:
الأب يعقوب عساف

الإخراج والتنفيذ:
مطبعة باب توما - دمشق

الاشتراك السنوي:
سوريا : ٥٠٠ ل. س.
لبنان : ٣٠٠٠٠ ل.ل.
المغتربات : ٧٥ $

العنوان البريدي:
سوريا، دمشق، طالع الفضة، ص.ب.: ٩
لبنان، لبنان الشمالي ١٣٠٠٢٠١٠، طرابلس، ص.ب.: ١٠٠

E-mail:
alnashra@antiochpat.org
al.nashra@hotmail.com
ai.nashra@balamand.edu.lb

هاتف:
+٩٦٣ ١١ ٥٤٢ ٤٤٠٠
+٩٦١ ٦ ٩٣٠ ٣٠٥
+٩٦١ ٦ ٩٣٠ ٣٠٦
+٩٦٣ ٦ ٩٣٠ ٣٠٧

فاكس:
+٩٦٣ ١١ ٥٤٢ ٤٤٠٤
+٩٦١ ٩٣٠ ٣٠٤

الفهرس

الصفحة	الموضوع
٣	**الافتتاحيّة** الأسقف غطاس هزيم
٥	**جدَّة الروح والخليقة** (عظة رأس السنة الميلادية ٢٠١٤) † يوحنا العاشر، بطريرك أنطاكية وسائر المشرق للروم الأرثوذكس
٧	**العلاقات الروسيّة - الأنطاكيّة**
٨	**الزيارة السلاميّة الأولى لغبطة البطريرك يوحنا العاشر إلى بطريركيّة موسكو وسائر روسيا**
٩	**اليوم الأوّل (السبت ٢٠١٤/٠١/٢٥)** الانطلاق من بيروت والوصول إلى موسكو في المقرّ البطريركي في دير دانيلوفسكايا صلاة الشكر في الصالون الرسمي «قاعة العرش»
١٦	**اليوم الثاني (الأحد ٢٠١٤/٠١/٢٦)** القدّاس الإلهيّ - كاتدرائيّة المسيح المخلّص، موسكو النداء المشترك لمؤتمر جنيف ٢
١٩	**اليوم الثالث (الإثنين ٢٠١٤/٠١/٢٧)** قبل الظهر: في الكرملين اجتماعات عيد الميلاد الدولي التعليمية الـ ٢٢ كلمة غبطة البطريرك يوحنا العاشر في قراءات الميلاد، موسكو في المساء: في كنيسة الممثليّة الأنطاكيّة في موسكو صلاة الشكر تقليد غبطته: وسام نجم بيت لحم العشاء
٢٢	**اليوم الرابع (الثلاثاء ٢٠١٤/٠١/٢٨)** قبل الظهر: في دير الثالوث الأقدس، «لافرا الثالوث المقدس- القديس سيرجيوس»، في سيرغي بوساد صلاة الشكر بعد الظهر: في مركز رئاسة مجلس الشيوخ لدولة روسيا الاتحادية تقليد غبطته: ميدالية الفدراليّة مساءً: في كنيسة «والدة الإله فرح المحزونين» في «بولشايا أوردينكا»
٢٦	**اليوم الخامس (الأربعاء ٢٠١٤/٠١/٢٩)** في السفارة السوريّة في وزارة الخارجية مأدبة عشاء ختاميّة
٢٩	**اليوم الأخير (الخميس ٢٠١٤/٠١/٣٠)** اختتام الزيارة والعودة
٣٠	**بيان مشترك صادر عن غبطة يوحنّا العاشر بطريرك أنطاكية وسائر المشرق وقداسة كيريل بطريرك موسكو وسائر روسيا**
٣٢	**مدائح القدّيس يوحنا الذهبي الفم في القدّيسين الأنطاكيّين** ترجمة المتروبوليت باسيليوس منصور مطران عكار وتوابعها
٣٣	**أيقونة أحد الأرثوذكسيّة – دير سيّدة البلمند** الأرشمندريت أندراوس مرقص - محمود الزيباوي
٤١	**دراسة برسم الشباب والأهل وأهل التربية والإعلام: تأثير وسائل الاعلام على الأطفال والشبّان الأميركيين ماذا عن لبنان والعالم العربي ؟** بسام طبشوري
٤٦	**انحدار الرّوح القدس** [عظةٌ للقدّيس يوحنّا الذّهبيّ الفم حول أعمال الرّسل (أعمال ١:١-٢)] تعريب جورج المرّ

«القلبُ الجريحُ ينادي قلبُكم الكريم
والمحبّ والمعطاء أينما وجدتم،
لتمّدوا يد الأخوّة والتضامن والمؤازرة».

†البطريرك يوحنا العاشر

الافتتاحية

من أنطاكيّة

من أنطاكية، حيث دعي المؤمنون بمسيحيّين أوّلاً، من أرض الشهداء والقدّيسين، من كنيسة بطرس وبولس. من أنطاكية، حيث انطلق بطرس ليؤسّس كنيسة روما، وبولس ليبشّر آسيا وأوروبا ويخطب في الأكروبوليس مبشّراً بالإله المجهول.

نعم، مضى غبطة البطريرك الأنطاكي يوحنا العاشر على خطى أسلافه البطاركة الأنطاكيّين إلى الكنيسة الروسيّة ملبّياً دعوة أخيه قداسة البطريرك كيريل، ومعبّراً عن عمق المحبّة بين الكنيستين الضاربة في التاريخ، ومجدّداً بداية الأسقف ميخائل السوري والبطريرك الأنطاكي يواكيم ودور البطريرك مكاريوس ابن الزعيم الذي لعبه في تاريخ الكنائس السلافيّة وكلّ من عقبهم.

انطلق غبطته والوفد المرافق إلى موسكو حاملين معهم عبق البخور الممزوج بطيب القدّيسين الذين سبقونا إلى السماء ليشاركونا الصلاة والتضرع من أجل مشرقنا، لأنّ صلاة القدّيسين قادرة، فبها خَلُصت الكنيسة الروسيّة التي لم يَخْبُ رجاؤها بالسيدة العذراء والقدّيسين. هكذا أرادها غبطته زيارة حجّ لقدّيسين لمعوا في سماء الكنيسة الأرثوذكسيّة.

لقد حمل غبطته في زيارته هذه على منكبيه وفي قلبه آلام شعبه وهواجس كنيسته ليطرحها على بساط البحث مع المسؤولين بمسؤوليّة القائد المتحسّس بالمنكوبين والثكالى والمهجّرين والمشرّدين. دون أن يخفي النار التي تحرقه غيرة وألماً في مقاربته للعلاقات الكنسيّة المسكونيّة عامّة والأورثوذكسيّة خاصّة، وما يكتنفها من إشكاليات وتجارب قاسية ليطرحها مع الكنيسة الأخت بشخص قداسة البطريرك كيريل ومجمع الكنيسة الروسيّة المقدّس الذي طالما تشاركت الكنيسة الأنطاكية معه الأحزان والأفراح على مرّ العصور.

وانطلاقاً ممّا لهذه الزيارة التاريخيّة من أهمّيّة، يُفرد لها هذا المجلد من النشرة ليبقى للتاريخ وثيقة وشهادة لدورٍ أنطاكيٍّ مميّز لم ينقطع عبر تراكم السنين.

البلمند، في ٢٠١٤/٠٢/١٠.

† الأسقف غطاس هزيم
رئيس دير سيدة البلمند البطريركي

«نحن لا نبْغي في هذا الوطن تمايزاً،
إذ لسنَا لأنفسِنا ولكن للمواطنينَ جميعاً،
ونحن خدامٌ لكل أبناءِ هذا الوطن».

†البطريرك يوحنا العاشر

جدَّة الروح والخليقة

عظة رأس السنة الميلادية ٢٠١٤

† يوحنا العاشر

بطريرك أنطاكية وسائر المشرق للروم الأرثوذكس

أيها الأحبة:

ها إننا بأمر الله البارئ لكل نسمة والضابط عنان الأوقات والأزمنة مقبلون على فاتحة عام جديد نرجوه حاملاً الخير واليمن للجميع. في مطلع هذا العالم، كما في غير ذلك من المناسبات، لا تجد الكنيسة المقدسة أفضل وأحلى من الصلاة لتناجي فيها الخالق والمبدع. هي أمامه راكعة وأمام قدميه المجرحتين ترفع صلاتها وتطرح همومها. هي منطرحة في عتمة هذا الدهر أمام مشكاة النور الحقيقي الذي لا يغرب. هي ترجوه، وهو السيد وأبو الأنوار، أن يفيض قليلاً من شعاع نوره عليها وعلى العالم الذي براه وأحبّه. وعندما تسأل البيعة خالقها في هذا اليوم فهي تسأله بشكل عام أمرين اثنين، جدّةَ (تجديد) الروح الإنسانية بتشذيب طباع النفس وجدّةَ الخليقة بتوطيد دعائم السلام.

جدة الروح تجد صداها في هذه الكلمات التي نسمعها في طلبة رأس السنة. نجدها في ثنايا تلك الكلمات التي تطلب غفراناً لأفعال الماضي، ولا تقف عند هذا، وهذا أمرٌ جوهري، بل تطلب السير بنور وهدْيِ الرب في السنة المقبلة. هي لا تطلب فقط محو ذنوب الماضي بل تلتمس مَرضاة إلهنا في السنة القادمة. وهذا ما نراه في طيات هذه الكلمات:

«وأيضاً نطلب من أجل أن يتعطف علينا الرب إلهنا، ويتغاضى عن هفواتنا وخطايانا، وأن يؤهلنا لأن نجوز هذه السنة المقبلة بسيرةٍ مرضيةٍ لعزته الإلهية، مرشداً إيانا بصلاحه ومسهلاً لنا مناهج الخلاص».

أما جدّة الخليقة، فتتم، أيها الأحبة بترسيخ السلام في ربوعها. وحريٌّ بنا أن نتأمل هنا كيف رتبت الكنيسة صلاتها إلى الخالق؛ لقد وضعت جدة الروح أولاً. لأن جدة الروح الإنسانية هي الكافلة الأولى للسلام الأرضي. سلام الروح لبنةٌ أولى لسلام الخليقة كلها. ومن هنا نفهم كيف جاءت طلبتها بعد هذه من أجل سلام العالم والكنيسة؛

«وأيضاً نطلب من أجل أن يوطد الرب إلهنا روح السلام في العالم أجمع، ويثبت كنيسته المقدسة مبعداً عنها كل خللٍ وتشوش وحافظاً إياها من الأعداء المنظورين وغير المنظورين».

سلامنا نحن البشر هو سلامٌ أرضي مبنيٌ على منطقنا الأرضي. أما روحُ السلام الذي تورده الكنيسة في هذه الصلاة، فهو السلام الرباني الإلهي نفسه. لا تطلب الكنيسة هنا سلاماً أرضياً فحسب لا بل تلتمس من الخالق والمبدع تثبيت روح السلام في كل الدنيا. وكأني بها تقول؛ أعطنا يارب من سلامك الحق، الذي هو روح وكُنه واستمراريةُ وضمان كل سلامٍ أرضيٍ دنيوي. ثبت أيها الخالق روح السلام واغرسه في النفوس

وضمّخْ به عقول وأفئدة البشر فتسودَ الطمأنينة المعمورة كلها. هبنا يا يسوعاه منطق سلامك الحق لأن سلام طينة البشر هو طينة تعجنها مصالحهم وهشاشة تشوبها أهواؤهم. أعطنا ياطفل المغارة قبساً من نور سلامك لنضيء به مغاور النفوس ونذيب بجذوته منطق السلام الأرضي الذي تتناهشه مصالحنا، إذ ذاك فقط ننتشي بسلامٍ إلهي يكون دعامةً وقوةً لكل سلام بشريٍ محض.

ما أحوجنا ياربّ إلى سلامك الحق. ما أحوجنا إلى نفحة من سلامك تطيب قلوب الحزانى وتمسح دمع المحزونين. ما أحوجنا إلى رحمتك لترد ديارنا إلى سابق عهدها.

من هنا من قلب مريمية دمشق، أقولها للعالم أجمع: مرساة خلاص سوريا هي الحل السلمي السياسي. مرساة خلاصها حوارٌ غير مشروط وقبولٌ للآخر. نريد سوريا، كما كانت، بلداً للتلاقي، بلداً تتعانق فيه مآذن الجوامع وأجراس الكنائس. نريدها بلداً تسوده نسمة الطمأنينة والهدوء لا سوطُ الإرهاب والوعيد. نريدها مصنعاً للوطنية وللحس بالانتماء للأرض لا مصانع تُستباح وتُسرق. نريدها بلداً ترتع فيه الطفولة بأمان لا مرمىً لقذائف الهاون والتفجيرات. نريدها واحدةً موحدة. سوريا مدعوة برنة معاول أبنائها لا برنة السيف أن تبني الغد وتقوم كطائر الفينيق. سوريا لم تُخلق لتمسح دموعها لرؤية أبنائها مهجّرين بل لتمسح العالم بوميض النور الذي شع من أرجائها ولتخبر الدنيا عن مقدّساتها التي يؤمّها المسلمون والمسيحيون على السواء. كفانا حروباً وكفانا إرهاباً وتشريداً. ربيع بلادنا لقيا الآخر. ربيعها وجوه تلتقي على حب الوطن ووحدة ترابه وصون دماء الأبرياء فيه.

ومن دمشق نرفع صلاتنا من أجل لبنان. من أجل سلامه واستقراره. نرفع صلاتنا من أجل أن يعلو فيه منطق التلاقي على منطق الاستقواء وأن يديم الله في ربوعه منطق العيش المشترك. لبنان لم يخلق لتديره السفارات بل ليكون سفير الغد في دنيا الحاضر. لبنان لم يوجد ليكون إنسانه لقمةً للاغتيالات والتفجيرات المدانةِ دوماً وأبداً، بل ليفجر بعطاء مفكريه ينابيع الثقافة والعلوم. لقد أفرغ الله في لبنان كما في غيره كل عنايته فلنحافظ عليه. فراغ السلطات فيه يؤرقنا لأن فراغ السلطات فيه يقود إلى سلطة الفراغ والمجهول والمقلق. وما أدراكم ما سلطةُ الفراغ! لبنان يستحق من اللبنانيين ومن العالم أجمع أن يكون ساحةً لتلاقي الحضارات.

صلاتي من هنا إلى الرب القدير أن يحفظ فلسطين الجريحة والمنسية في عقول كثيرين وأن يحفظ العراق ومصر والعالم أجمع. وأوجه شكري إلى وسائل الإعلام المرئي والمسموع التي تعبت معنا اليوم وأسمعت الصوت للجميع.

صلاتنا في هذا اليوم من أجل أخوينا المطرانين يوحنا وبولس وراهبات ويتامى دير القديسة تقلا في معلولا ومن أجل سائر المخطوفين. نضرع إلى طفل المغارة أن يظللهم بستر حمايته وأن يعيدهم إلينا سالمين. نصلي ونرفع الصوت عالياً ومع كل ذوي النيات الحسنة ونقول للعالم ولحكومات العالم أجمع. أوقفوا هذه المأساة ولا تتفرجوا على إنسان هذا المشرق وتكتفوا بالرثاء والترثي والتغني بحقوق الإنسان عبثاً.

يطيب لي في الختام أن أبعث، ومن حنية الكنيسة المريمية بدمشق، بسلامي القلبي لكل أبنائنا في الوطن وبلاد الانتشار. أبعث بسلامي إلى أبنائنا في الأمريكيتين وفي أوروبا وأستراليا وكل بقاع العالم، وأسأل طفل المغارة أن يفتقدهم بحنوّه ورأفته.

يا يسوع الذي افتقد ضعتنا من غابر الأيام وحل بيننا وقدسنا وباركنا. يامن سر وارتضى السكنى في المغارة وافترش المزود. افترش مزاود قلوبنا وأحرق فيها هشيم ضعفاتنا بنار الغيرة الإلهية. يا يسوع يامن افتقد ضعتنا في غابر الأيام، افتقد مشرقنا بنور سلامك. يامن تقبّل كطفلٍ من أفواه الملائكة نشائد التسبيح، تقبل من أفواهنا وأفواه أطفالنا ابتهالاتٍ وصلواتٍ تنشد سلامك. يا يسوع، يامن هدأ العاصف، هدئ عاصف حروب ضعفاتنا وادفن في بحور سلامك لجّةَ جنوحنا الأرضي .يا يسوع يامن مسح دموع مرتا بإقامة لعازر، امسح بأنامل رأفتك عيون المحزونين واجرح بطيب أشفيتك قلوب الجرحى، عزّ وقوّنا لنعزّي إخوتنا المهجّرين واقتبل نفوس راقدينا وضمها إلى قلبك الدافئ. بارك مدار سنة خيريتك ولظّ نفوسنا بحرارة محبتك، لك المجد إلى الأبد، آمين.

العلاقات الروسيّة – الأنطاكيّة

في العام ٩٨٨ ميلادية وعلى يد القدّيسين كيرلس وميثوديوس المرسلين من القسطنطينية، اعتنق الأمير فيلاديمير المسيحية وبدأ بمعمودية الشعب السلافي بدءاً من كييف – روسيا. واللافت أن أول من ترأس مطرانية روسيا المنضوية تحت لواء المنطقة الخاضعة لقانون البطريركية القسطنطينية كان المطران ميخائيل السوري الذي يعتقد أنه نال لقب الراعي الروحي للبلاط الأميري وكذلك ممثل للكنيسة الروسية، إذ عمل في البلاط الأميري بوظيفة وزيراً للخارجية وأقام علاقات واسعة مع البلاطات والكنائس الأجنبية.

إن زيارة البطاركة الأنطاكيين لروسيا مثل يواكيم في نهاية القرن السادس عشر والذي كان له الفضل في تصيير الكنيسة الروسية بطريركية، ولمرتين متتاليتين البطريرك مكاريوس ابن الزعيم في القرن السابع عشر، عزّزت العلاقات الروحية، وساهمت في سعة الاطلاع للكنيسة الروسية الأرثوذكسية في المجال الليتورجي وأداء الطقوس وتقاليد الأرثوذكس الشرقيين.

وفي عام ١٧٧٤ بعد توقيع روسيا اتفاقية بورت كوتشوك – كاينا رد جي، أتيح لروسيا بموجب هذا الاتفاق زيادة تواجدها ونشاطها الروحي والسياسي في سورية وفلسطين، حيث تم في عام ١٨٣٩ افتتاح قنصلية تحولت منذ عام ١٨٤٣ إلى قنصلية عامة عملت إلى جانب أعمالها الأخرى، في تأمين السفر والإقامة والحماية للحجاج الروس.

ومنذ أربعينيات القرن التاسع عشر، تحوّلت سورية إلى هدف رئيس لتغلغل المبشرين الغربيين الذين عملوا في مجال الدعاية النشطة وسط الشباب العربي الأرثوذكسي لإقناعهم باعتناق المذهب الكاثوليكي أو البروتستانتي وكذلك الدخول في طائفة الروم الكاثوليك (uniatism). وجاءت الدبلوماسية الروسية وممثلي الكنيسة الروسية لمساندة الكنيسة الأرثوذكسية وذلك خلال أعوام (١٨٤٣-١٨٤٧-١٨٥٣)، والتي اضطرت لاحقاً إلى مغادرة الأراضي السورية والفلسطينية بسبب بدء حرب القرم (١٨٥٣-١٨٥٦) وهي الحرب التي عرفت في الشرق العربي باسم الحرب «من أجل المقدسات المسيحية».

وفي النصف الثاني من القرن التاسع عشر، عملت روسيا على تعزيز تواجدها الروحي والدبلوماسي في الأقاليم السورية الواقعة في الإمبراطورية العثمانية. ومنذ منتصف الثلاثينيات من القرن التاسع عشر، أصبحت هذه المسألة تعني، شخصيًّا، القيصر الروسي نيكولاي الأول (١٨٥٢-١٨٥٥). ومن المحتمل أن المساندة المعنوية والسياسية للسكان الأرثوذكسيين رافقتها مساعدات مالية من روسيا وصلت عن طريق قناتين: الأولى هي وزارة الخارجية الروسية، والثانية إقامة أمطوشاً لبطريركية أنطاكية في موسكو، الذي افتُتح في السنة ١٨٤٠ برئاسة ممثل من الكنيسة الأنطاكية بموسكو.

وفي مطلع التسعينيات من القرن التاسع عشر، افتُتحت القنصلية الروسية في دمشق بهدف تقديم المساندة للكنيسة الأرثوذكسية.

في العام ١٨٨٠ تأسست في روسيا عن يد العائلة القيصرية جمعية دعيت الجمعية الإمبراطورية الروسية لفلسطين. كانت هذه الجمعية تهدف الى تشجيع الدراسات حول الشرق، تسهيل رحلات الحجاج الروس، إجراء تنقيبات أثرية في الأراضي المقدسة، وخاصة تأمين الخدمات الطبية والتربوية للأهالي. وقد تمكنت هذه الجمعية من تأسيس ١٠٤ مدارس بين عام ١٨٨٢ و ١٩١٤ في سوريا ولبنان وفلسطين، منها المدارس العليا والمعاهد التربوية ودور المعلمين. وتميزت هذه المدارس بشكل اساسي بتوجهها للسكان الأكثر فقراً، وشددت على تعليم اللغة العربية والتعليم المسيحي.

وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، أخذ البطريرك ألكسي الأول على عاتقه وبرعايته مسألة تطوير العلاقات الثنائية بين الأرثوذكس الروس والكنيسة الأنطاكية الأرثوذكسية. وفي عام ١٩٥٦، تمّ تأمين الوسائل لبناء كنيسة تذكارية في قرية تل كوكب، حيث المكان الذي ظهر فيه السيد المسيح للرسول بولس. هذا عدا التقدمات الكثيرة لإكساء الكنائس بالصلبان والأيقونات وغيرها من أوانٍ كنسية.

وقد استمرت هذه العلاقة المتينة رغم الظروف السياسية التي مرّت بها كلا البطريركيتين. وإحدى تجلياتها (العلاقة) دراسة بعض الإكليروس الأنطاكي في معاهدها سواءٌ أكان في موسكو أم في بلاد الانتشار في فرنسا والولايات المتحدة الأميركية، وأبرزهم: المثلث الرحمة غبطة البطريرك إغناطيوس الرابع والمطران جورج خضر وغيرهما. وقد كان لأنطاكية الفضل في الاعتراف بكنيسة موسكو بطريركية وفي فضّ الكثير من المشاكل الداخلية والخارجية فيها.

ولا تزال هذه العلاقة التاريخية متينة يسودها الأخوّة والاحترام والمحبة. وما زيارة غبطة البطريرك يوحنا العاشر الكلي الطوبى والجزيل الاحترام إلاّ انعكاس لهذا الإرث اللافت والمشع.

الزيارة السلاميّة لغبطة البطريرك الأنطاكي
يوحنا العاشر
إلى بطريركيّة موسكو وسائر روسيا

في الخامس والعشرين من شهر كانون الثاني السنة الفان وأربع عشرة، لبّى غبطة البطريرك يوحنا العاشر، بطريرك أنطاكية وسائر المشرق للروم الأرثوذكس، دعوة أخيه قداسة البطريرك كيريل الأول، بطريرك موسكو وسائر روسيا، لزيارة الكنيسة الأرثوذكسية الروسية. تأتي هذه الزيارة الهامّة ضمن برنامج الزيارات السلامية التي يقوم بها غبطة البطريرك يوحنا العاشر بعد تنصيبه بطريركاً على عرش كنيسة أنطاكية، لسائر بطاركة ورؤساء الكنائس الأرثوذكسية المحلّيّة بحسب التقليد المُتبع بين الكراسي الأرثوذكسية. وتكمن أهمية هذه الزيارة في التأكيد على العلاقات الأخوية المُشتركة والوطيدة، القديمة العهد بين البطريركيتين، وتعبير عن التمسك بالشركة الإيمانية الأرثوذكسية. وضرورات ومُتطلبات وحدة الكنيسة الأرثوذكسية الجامعة، وأهمية توطيد هذه العلاقة بين الكنائس لمُجابهة تحديات عالم اليوم من خلال فهم صحيح وبنّاء لتحوّلاته المِفصلية، وهي كثيرة ومُتنوعة.

رافق غبطتَهُ في هذه الزيارة وفدٌ رفيع المستوى من الكنيسة الأرثوذكسية الأنطاكية قوامه: سيادة متروبوليت أبرشية عكار وتوابعها: المطران باسيليوس نصور، سيادة متروبوليت أبرشية طرابلس والكورة وتوابعهما: المطران إفرام كرياكوس، الأرشمندريت فيليب يازجي، الأرشمندريت برثانيوس اللاطي، الأرشيدياكون جراسيموس كباس، معالي الدكتور حسان ريشة (الوزير والسفير السابق لسوريا في موسكو)، الدكتور جورج نحاس (نائب رئيس جامعة البلمند)، المحامي كارول سابا (المسؤول الإعلامي للزيارة)، والسيد تاكي لوقا (المسؤول عن التصوير)، بالإضافة الى وفد اعلامي من قناة التيلي لومير التي غطّت كامل الزيارة.

اليوم الأوّل (السبت ٢٥/٠١/٢٠١٤)
الانطلاق من بيروت والوصول إلى موسكو

من مطار بيروت

غادر بيروت، صباح الخامس والعشرين من كانون الأوّل، صاحب الغبطة البطريرك يوحنا العاشر، بطريرك أنطاكية وسائر المشرق للروم الأرثوذكس، متوجّهاً الى موسكو على متن طائرة روسية في زيارة كنسية رسمية، تلبية لدعوة قداسة البطريرك كيريل، بطريرك موسكو وسائر روسيا، في سبيل الاطمئنان إلى رعايا الكنيسة في روسيا والبحث في توطيد العلاقات الكنسية بين البطريركية الأنطاكية والبطريركية الروسية.

وقبيل مغادرته صالون الشرف في المطار (بيروت)، كان في وداعه: معالي وزير الاقتصاد نقولا نحاس ممثّلاً فخامة رئيس الجمهورية العماد ميشال سليمان، والسفير الروسي ألكسندر زاسبكين، وصاحبا السيادة الأسقفان: غطاس هزيم وكوستا كيّال، وعدد من الكهنة. وقد أدلى غبطته للصحافة بالتصريح الآتي:

إنّ «راهبات معلولا بخير وهنّ لا يزلن في يبرود»، وأعلن أنه «تم اتصال بينه والراهبات، ولا تزال المفاوضات جارية». مشيراً إلى أن «هذا لا يكفينا ولا يرضينا، ونأمل في أن يتم الإفراج عنهن مع المطرانين في القريب العاجل لأنهم يحملون رسالة سلام من أجل خدمة الآخرين».

وتعليقاً على زيارته إلى روسيا، أضاف غبطته: «أتوجّه الى روسيا حاملاً معي زفرات الأمهات وأنين الآباء وأوجاع الشعب الذي يتوجّع، وستكون هناك فرصة للبحث في الأوضاع والمستجدات التي تحصل في منطقتنا وخاصة في سوريا».

وعن تقويمه لأعمال مؤتمر «جنيف -٢»، تمنّى غبطته «التوصل الى حلّ يخفف من أوجاع الشعب السوري بشكل خاص وينعكس إيجاباً على المنطقة».

في مطار موسكو

عند وصول غبطته الى مطار موسكو كان في استقبال غبطته والوفد الأنطاكي المُرافق له، وفدٌ رفيع المستوى من البطريركية الروسية، قوامه كلٌّ من: سيادة المطران يوفينالي مطران كروتيتسكي وكولومنا، وسيادة المطران إيلاريون مطران فولوكولامسك رئيس دائرة العلاقات الخارجية لبطريركية موسكو، وكلاهما نائبان لقداسة البطريرك كيريل. وكان في عداد المُستقبلين، أيضاً: سيادة المطران نيفن صيقلي المُعتمد البطريركي الأنطاكي في موسكو. ولا يُنسى مشهد الأولاد في الزي التقليدي الروسي الذين كانوا على استقباله بالورود والخبز والملح الذي يعبر عن العشرة والمحبة والشركة، وفي العامية عندنا نقول: «حتى يصير خبز وملح بيناتنا». ثم توجّه غبطة البطريرك يوحنا والوفد المرافق له والمستقبلون إلى المقر البطريركي لقداسة بطريرك موسكو وسائر روسيا في دير دانيلوفسكايا.

في المقرّ البطريركي في دير دانيلوفسكايا
صلاة الشكر

عند وصول غبطته الى دير «دانيلوفسكايا» كان في استقباله قداسة البطريرك كيريل وعدد كبير من الأساقفة والكهنة والشمامسة والرهبان، وتوجّهوا جميعاً على وقع ترتيلة بواجب الاستئهال إلى كنيسة مقرّ قداسة البطريرك كيريل حيث ترأس غبطة البطريرك يوحنا خدمة صلاة الشكر التي أقيمت في المناسبة.

في نهاية الخدمة، كان تبادل للكلمات تناول فيها البطريركان العلاقات التاريخية الوطيدة التي تربط الكنيستين وضرورة توطيدها وتنميتها، والأوضاع الصعبة التي تعيشها كنيسة أنطاكية اليوم، والآلام والتحديات الجمّة التي تجابهها في ظلّ الصراع المُحتدم في الشرق الأوسط وبالأخصّ في سوريا.

كلمة غبطة
البطريرك يوحنا العاشر
في صلاة الشكر

صاحبَ القداسة،

السادةَ المطارنة،

أيها الشعب المحب المسيح،

أوافيكم اليوم في زيارةٍ سلاميةٍ. وسلامي لكم هو بالمسيح المولود في بيت لحم والظاهر للمسكونة نوراً لا يدنى منه.

آتيكم حاملاً سلام المسيح من الأرض التي التحفت منذ فجر المسيحية باسمه الطاهر. آتيكم من أنطاكية حاملاً في قلبي صلاة كل طفلٍ وامرأة وشيخٍ من أجلكم.

جئتكم من جوار صيدا والجليل ومن حيث اهتدى بولس واعتمد. جئتكم من بلاد إغناطيوس المتوشح بالله ومن جوار عمود مار سمعان في حلب ومن فجّ القديسة تقلا في معلولا.

جئتكم سفيراً لمحبة شعب كنيستنا الأنطاكية وناقلاً لإيمانه الحي. آتيكم اليوم، وللأسف، حاملاً في قلبي زفرات الأمهات وأنّات الأطفال وتنهّدات الشيوخ نتيجة ما يحدث في سوريا وفي منطقتنا، وما أسموه «ربيعاً».

في التاريخ، عاشت مدرسة أنطاكية ما سمي لاهوت التجسد والملموسِ فكراً وعملاً. وإلى الآن يعيش الأنطاكيون في مشرقهم فكراً وبعداً تجسدياً للإيمان. فعندما يذكرون تاريخَ القداسة في أرضهم وعظمةَ الآباء التي أبزغَتهم أنطاكية، لا تأسرُهم متحفيّة التاريخ والتغني بمجد الماضي بقدر ما تكتسحهم ذكرى القداسة والآباء مرسخّةً إياهم في إيمانٍ وطيدٍ وعيشٍ مسيحيٍّ وتجذّرٍ بالأرض وانفتاحٍ على الآخر يجعلهم قطعة من نسيج أرض المشرق يجري في عروقهم نسغُ أرضها وهموم إنسانها.

أنا هنا لأنقل محبة أنطاكية ولأغتني بمحبتِكم ومحبةِ إخوتي في روسيا. أنا بينكم لأستزيد من تقواكم ولأضم صلواتي لصلوات أطفالكم وأطلب من طفل المغارة أن يحفظكم، ياصاحب القداسة، ويمنح روسيا، شعباً وكنيسةً وحكومةً، كل رخاءٍ وازدهارٍ وسلام. أنا في وسطكم لأشارككم همومكم

ولأطرح هموم كنيسة أنطاكية وشعبها لأننا كلنا جسد المسيح. عرفنا فيكم أخاً كريماً زارنا وشبَحُ القلاقل مخيمٌ على ديارنا. نصلي إلى الرب الإله أن يديم سلامه في ربوعكم ويعطي السلام لبلادنا ويمنحنا فرصة استقبالكم فيها وهي معافاةٌ لتتعرفوا على شعبنا الطيب الذي يرزح تحت صليب شقاء هذا المشرق وينتظر برجاءٍ وطيدٍ بشائر القيامة بعون سيد القيامة.

في مدننا وفي قرانا، يسمع المرء أصوات أجراسٍ كثيرةٍ أرسلتها روسيا في أواخر القرن التاسع عشر، وعلّقها أجدادنا مُتَحَدِّين شظف الأيام وقساوتها. وهذه الأجراس لا تزال تقرع إلى اليوم وتسمع صوت إخاءٍ أرثوذكسيٍ مسيحيٍ يَطنّ بتناغمٍ وانسجامٍ مع صوت محبةٍ وانفتاحٍ تجاه كل أطياف مجتمعنا ووطننا. نقولها بقوةٍ وبلا خوفٍ، هذه الأجراس سوف تقرع دوماً وتسمع القاصي والداني أننا باقون في مشرقنا بقوة رجائنا وبصلوات إخوتنا وباتكالنا على البارئ لكل نسمة، تبارك وتمجّد أبد الدهور، آمين.

في الصالون الرسمي «قاعة العرش»

ثم توجّه الجميع إلى «قاعة العرش» لمقرّ قداسة البطريرك كيريل، حيث أجريت مباحثات مُطوّلة وعميقة بين الوفدين، تناول فيها الطرفان بصراحة وروح أخوية مواضيع كثيرة بدءاً بالعلاقات المُشتركة بين الكنيستين وطُرق تفعيلها وتوطيدها وتثميرها أكثر فأكثر، ومن ثم العلاقات الأرثوذكسية ومُتطلبات الوحدة والشهادة الأرثوذكسية في عالم اليوم، والأوضاع الصعبة في الشرق الأوسط وفي سوريا بالأخص وسبل مُجابهتها وضرورات إحلال السلام في هذه الديار المُعذبة، وأهمية العيش الإسلامي المسيحي وضرورات تثبيت مجتمعات المواطنة في الشرق الأوسط التي تحفظ الوحدة والتنوع وتضمن للجميع الحريات والحقوق الأساسية كافة لكل المواطنين بالتساوي بالحقوق والواجبات بمعزل عن انتماءاتهم الدينية. كما تم التطرق إلى العلاقات المسكونية ومُتطلبات الشهادة المسيحية في عالم اليوم والعلاقات السلامية بين الأديان لما فيه خدمة الإنسان وحرياته وكرامة عيشه.

في نهاية المباحثات، كان تبادلٌ للهدايا بين الطرفين. وقلّد قداسة البطريرك كيريل غبطة البطريرك يوحنا الوشاح الأكبر لوسام القديس فلاديمير من أعلى رتبة، وتم تقليد الوسام نفسه من رتبة ثانية للمطران باسيليوس والمطران إفرام.

كما قلّد قداسة البطريرك كيريل وسام القديس فلاديمير من رتبة ثالثة لبقية أعضاء الوفد الأنطاكي. ثم كانت زيارة لقاعة المجمع المقدّس للكنيسة الروسية، تبعها حفل عشاء ضمّ الوفدين في حجرة طعام المجمع الروسي.

اليوم الثاني (الأحد ٢٦/ ٠١/ ٢٠١٤)
القدّاس الإلهيّ
كاتدرائيّة المسيح المخلّص،
موسكو

كان اليوم الثاني لهذه الزيارة ليتورجيًّا بامتياز، وحاملاً بهاءً ليتورجيًّا وروحيًّا، فيه تناغمٌ إيماني وشركة روحية بين أبناء الكنيسة الواحدة الجامعة جعلت الجميع يشعرون بالفعل أنّهم على تنوّعهم في وحدة جوهريّة، وأعضاء لجسد واحد.

ففي القدّاس الإلهي الذي أقيم في كاتدرائية المسيح المخلص في موسكو برئاسة البطريركين ومُشاركة وفدي الكنيستين الروسية والأنطاكية، تلاقت الروحانية الليتورجية الروسية وترانيمها التي تنبع من مُعاناة وصبر وقداسة هذا الشعب، مع رُسُل أنطاكية الحاملين معهم إلى موسكو تراث ورجاء الكنيسة الرسولية الأرثوذكسية المشرقية، حيث ُدعي التلاميذ مسيحيّين أولاً، والذين بالرغم من الشدائد والمصاعب الجمّة، والتحدّيات الحياتية والوجودية، لا يزالون ثابتين في كونهم شهودًا للربّ يُحرّكهم رجاء المسيحيّة السمحة والمنفتحة على الآخر.

أما المؤمنون فلم تمنعهم قساوة وبرودة الطقس من المشاركة، وكان لافتاً الحضور الرسمي في القداس الإلهي، وعلى رأسه مُمثّل شخصي للرئيس الروسي فلاديمير بوتين، موفَدٌ خصّيصاً للمناسبة، وآخر لرئيس الوزراء ميدفيدف.

في نهاية القداس الإلهي، تبادل البطريركان الكلمات والهدايا. فقدم البطريرك كيريل للبطريرك يوحنا أيقونة القديسين كيرلس وميثوديوس الذين بشرا الكنيسة الروسية، ومن جهته قدم البطريرك يوحنا للبطريرك كيريل أيقونة القديسين بطرس وبولس، وهي الأيقونة التي تعرف بتوافق الرسل وهي رمز وشعار بطريركية أنطاكية وسائر المشرق للروم الأرثوذكس.

وقد تكلّم غبطة البطريرك يوحنا في كلمته بإسهاب عن عمق العلاقة التي تربط الكنيستين الروسية والأنطاكية مُعتبرا أن «بين أنطاكية وموسكو أُخوّة الإيمان التي لا تُنيخها الأيام ولا تكسرها وِهاد التاريخ... وأن هذه الأُخوة هي كخمرِ قانا الجليل الذي لا يزيده العتق إلا حلاوةً». كما نوّه غبطته بالدور الروسي التضامني مع الكنيسة الأنطاكية، وقال: «أتوجه بالشكر لفخامة الرئيس فلاديمير بوتين ولكم يا صاحب القداسة وإلى كلّ روسيا، حكومةً وكنيسةً وشعباً، على كل ما قدمتم وتقدمونه لخير كنيستنا وشعوبنا ولإرساء السلام في بلادنا وبلسمة جراح إنسان مشرقنا المعذب».

وأكّد غبطته أن مسيحيّي المشرق هم من دعاة المواطنة والشراكة الوطنية والاعتدال والعيش المشترك وهم بعيدون كلّ البعد عن منطق الفكر التكفيري الذي لا يقبل الآخر أو التنوع:

«نحن مسيحيي تلك الديار شركاء المواطنة مع كلّ أطياف أرض المشرق. مسيحيتنا الحقة شريكة الإسلام السمح وطناً وعيشاً مشتركاً، لكننا لم نكن أبداً في شراكةٍ مع أي فكر تكفيريٍ. نحن نرى في الآخر غنىً والتماعاً لوجه الحي الباقي».

وبعد أن أكد أننا كمسيحيين «باقون في أرضنا ومتجذرون فيها»، شدّد على أنّ «المسيحية والإسلام الذي نعرف لا يعرفان منطق الأقلية والأكثرية بل منطق التكامل والتشارك ومنطق الوطن والعيش الواحد ضماناً لخير كلٍّ منهما».

بعد القداس الإلهي أقيم غداء رسمي على شرف غبطة البطريرك الأنطاكي والوفد المرافق له في قاعة الاستقبال الكبرى لكاتدرائية المسيح المخلص، بمشاركة شخصيات برلمانية روسية وممثل للرئيس الروسي فلاديمير بوتين السيد كليبانوف الذي نقل تحيات وأماني الرئيس الروسي للبطريرك كيريل وضيفه البطريرك يوحنا.

وخلال حفل الغداء تم التوقيع على نداء مُشترك بالإنكليزية وجهه البطريركان إلى المُتحاورين في جنيف ٢ من أجل بذل كل ما يمكن من جهود لوقف العنف والوصول إلى السلام في الربوع السورية.

النداء المشترك إلى مؤتمر جنيف ٢

نداء مشترك إلى مؤتمر جنيف ٢ الدولي حول سورية صادر عن غبطة البطريرك يوحنا العاشر بطريرك أنطاكية وسائر المشرق وقداسة البطريرك كيريل بطريرك موسكو وسائر روسيا

« في السادس والعشرين من كانون الثاني للعام ٢٠١٤ أصدر غبطة البطريرك يوحنا العاشر، بطريرك أنطاكية وسائر المشرق وقداسة البطريرك كيريل، بطريرك موسكو وسائر روسيا نداءً مشتركًا إلى مؤتمر جنيف الثاني الدولي حول سوريا. نص النداء مبينٌ أدناه:

نحن، رئيسي الكنيستين الأرثوذكسيتين الأختين، كنيسة أنطاكية والكنيسة الروسية، اجتمعنا في موسكو لنحمل من جديد شهادة محبةٍ للمسيح، محبةٍ حفظتاها كنيستانا أيّما حفظٍ عبر القرون، موجهةٍ نحو كل الناس أيًّا كان انتماؤهم الوطني ودينهم ورؤيتهم السياسية.

تتجه صلواتنا المشتركة في هذا اليوم من أجل الشعب السوري الذي يقاسي مآسيَ لم يعرفها من قبل. فالأرض التي عاش فيها المسلمون والمسيحيون معًا لقرون، امتلأت بدموع أولئك الذين بكوا موت أقاربهم وأصدقائهم والمهجرين من بيوتهم. إن الكارثة التي قد أصابت أرضًا آمنة قبْلاً لم توفر شيوخًا ولا أولادًا ولا مسلمين ولا مسيحيين. وليس من قلبٍ يمكنه أن يبقى غير مكترثٍ لهذه المصيبة الرهيبة الحالةِ في سوريا.

تستضيف سويسرا في هذه الأيام مؤتمرًا دوليًّا يجمع إلى طاولة المفاوضات ممثلين عن الأطراف المتخاصمة وعن المجتمع الدولي. نوجه نداءً ملحًّا إلى المشاركين في هذا اللقاء طالبين منهم بذل كل جهدٍ ممكن لوقف نزيف الدم وإعادة السلام إلى الأرض السورية المباركة.

ندعو المشاركين في مؤتمر جنيف ٢ الدولي حول سورية أن يقفوا بوجه أي تطرفٍ وذلك ليضعوا حدًّا لكلّ تعصّب ولكل سياسة فرض المعايير.

وحده الحوار الأخوي الحر ضمن المجتمع السوري من شأنه أن يفتح السبيل لحل سلميٍّ سياسي.

نوجّه النداء مرةً أخرى من أجل الإطلاق الفوري لكل المسيحيين الذين أخذوا رهائن في الصراع المسلح. المطرانان بولس ويوحنا، مطرانا حلب، هما في الأسر منذ عدّة أشهر. وقد أُخذت راهبات دير القديسة تقلا في معلولا، ومنذ أكثر من شهر، رهائن أيضًا. ننادي كل الأطراف أن يظهروا الرحمة والإنسانية، إثباتًا لنيتهم اتباع طريق تثبيت السلام والخير في سوريا.

حجم المصيبة يجعلنا، نحن رئيسي الكنيستين الإرثوذكسيتين، نناشد كل ذوي النيات الحسنة ونسألهم مساعدة المعانين سواء في مخيمات اللاجئين أم المقاسين بعد فقد بيوتهم وسائر سبل العيش.

من الضروري، وقف تدمير مواقع التراث الحضاري والديني التي لا تقدر بثمن والتي تغتني بها الأرض السورية. إن تدميرها لهو جريمةٌ ضد الأجيال القادمة.

نحن على يقين أن الرب الكلّي الرحمة سيُظهر رحمته لشعب سوريا وسيقوّي ويبارك أولئك الساعين لإعادة السلام والخير إلى تلك الأرض القديمة المقدسة».

اليوم الثالث (الإثنين ٢٧ / ٠١ / ٢٠١٤)
قبل الظهر: في الكرملين
اجتماعات عيد الميلاد الدولي التعليمية الـ٢٢

في اليوم الثالث من الزيارة البطريركية الأنطاكية لكنيسة موسكو، جاز الوفد الأنطاكي برئاسة البطريرك يوحنا العاشر أسوار الكرملين الشهيرة ليدخل إلى قلعة مركز القرار الروسي وليحل ضيف الشرف في الاحتفالية التي تنظمها الكنيسة تحت عنوان «اجتماعات عيد الميلاد الدولي التعليمية الـ ٢٢».

والاحتفالية تأتي هذه السنة ضمن سلسلة الاحتفالات المكرسة لمرور ٧٠٠ سنة على ميلاد القدّيس الأب البار سيرغي رادونيجسكي الذي يكنّ له جميع الروس كلّ احترام وتقدير لدوره التاريخي في حماية روسيا.

افتتح قداسة البطريرك كيريل، بطريرك موسكو وسائر روسيا وإلى جانبه البطريرك الأنطاكي يوحنا العاشر، هذا الاحتفال المهيب الذي تقاطرت وفود كثيرة من كل أنحاء روسيا لحضوره في صالة المؤتمرات الدولية الكبرى في الكرملين.

وكان حاضرًا على منصة الشرف لهذا الافتتاح الضخم إلى جانب البطريركين كيريل ويوحنا، المطران ميركور متروبوليت روستوف رئيس لجنة الثقافة والتعليم الديني في المجمع المقدس في بطريركية موسكو، وحشد كبير من كبار ممثلي الدولة الروسية يتقدمهم ممثل رئيس الدولة فلاديمير بوتين، ورئيس مجلس النواب «الدوما»، وممثلين لرئيس الوزراء ميدفيديف، ورئيسة مجلس الشيوخ ووزراء الخارجية والثقافة والتنمية الإقليمية وعمدة مدينة موسكو.

الكلمة الافتتاحية كانت للبطريرك كيريل، بعنوان: «الأب البار سيرغي، روسيا: التراث، العصر الراهن، المستقبل».

تكلّم قداسته بإسهاب عن أوضاع كنيسة روسيا ونموها وآفاق عملها ودورها مؤكدًا «أن الحروب والنزاعات والأجواء الخارجية والداخلية، وإغراءات هذا العالم، عجزت عن تحطيم صرح إيماننا وتقاليدنا الدينية».

ونوه قداسته بالتعاون بين الدولة والكنيسة مؤكدًا أن هناك اختبار لنمط جديد للعلاقة بين الدولة والكنيسة الأرثوذكسية الروسية في التعليم والنشاطات الاجتماعية والعمل الشبابي والتنسيق مع وسائل الإعلام.

وإذ تكلّم قداسته عن الإنجازات السابقة العديدة التي تم تحقيقها بتعاون وثيق بين الكنيسة ومختلف وزارات وإدارات الدولة الروسية، نوه بإقرار عام ٢٠١٣ لوثيقة مشروع «الرؤية التعليمية للكنيسة الأرثوذكسية الروسية» التي تأتي كتتمة لوثيقة سابقة لها هي «أسس الرؤية الاجتماعية في مجال التعليم».

وبعد كلمة قداسة البطريرك كيريل، كانت كلمة تشجيعية للسيد كليفانوف، ممثل رئيس الدولة فلاديمير بوتين.

ومن ثم أعطي الكلام للبطريرك يوحنا الذي تكلّم بإسهاب عن المسيحية الأنطاكية مؤكداً «أنها كانت دوما ولا تزال غصنا نديا وجذعا ضاربا في عمق مسيحية كلّ الأمم».

وأضاف غبطته أن «المسيحي الأنطاكي هو على مثال إغناطيوس الأنطاكي يخفق حبًا بكنيسته ويطلب الصلاة من أجلها ومن أجل الوطن أينما حل».

وبعد أن تكلّم عن أهمية وقدم العلاقة الوطيدة والأخوية مع الكنيسة الروسية، رفع صلاته إلى الله على مثال سلفه الراحل البطريرك غريغوريوس حداد في ١٩١٣، «أن يديم الله رحمته على هذا الشعب الطيب والأمة التي أتحفت المسيحية بقديسين وشهداء».

وقبل أن يردد مرارًا وتكرارًا «أن منطق السلام والحوار أقوى وأحلى من منطق الصراع»، ذكر أن المسيحيين مدعوون «على مثال فاديهم إلى أن يحملوا وزر الصليب بقوة من في الضعف تكمن قوته».

وأشار إلى أن «قيامة سوريا» تكمن في «أن تتحمل كلّ حكومات العالم دورها في الإسراع بتوطيد السلام في ربوعها وفي إقفال ملف المخطوفين ومنهم المطرانان يوحنا وبولس والكهنة وراهبات معلولا ويتاماها الذين كان ذنبهم الوحيد أنهم حملوا صليبهم وكانوا سفراء سلامٍ ومصالحة.»

وبعد أن أبدى قلقه من الأحوال السياسية في لبنان قائلا أنه «يعز علينا أن نرى فيه شبح فراغ السلطة»، أعلن «أن الكل في لبنان مدعوٌّ لنبذ منطق الأكثرية والأقلية واعتماد منطق الوطن الواحد والعيش الواحد الذي يجمع الكل تحت مظلّةِ لبنان.»

في المساء: في كنيسة الممثليّة الأنطاكيّة (الأمطوش) في موسكو

صلاة الشكر

الحدث مساء كان أنطاكيًّا بامتياز وكان عنوانه الكبير «التوهّج الأنطاكي في موسكو» الذي بناه وسهر على تنميته بكرم ومحبة وانفتاح على الجميع، مدماكاً بعد مدماك، طيلة سنين طوال في موسكو، سيادة المطران نيفن صيقلي، رئيس أساقفة فيليبوبوليس وممثل صاحب الغبطة بطريرك أنطاكية يوحنا العاشر لدى بطريركيّة موسكو.

فاحتشد في كنيسة مقر الممثلية الأنطاكية في موسكو عدد كبير من المؤمنين، داخل وخارج الكنيسة، من الروس ومن الجالية العربية وعدد كبير من السفراء والقناصل العربية والأجنبية والشخصيات المدنية والسياسية الروسية، حيث جرت مراسم استقبال قداسة البطريرك كيريل، والوفد المرافق له، من قبل بطريرك أنطاكية وسائر المشرق، يوحنا العاشر.

فأقيمت صلاة الشكر وعقبها تبادل الكلمات والهدايا.

رحّب سيادة المطران صيقلي بقداسة البطريرك كيريل وأعرب عن فرحه وفرح الرعية بوجود هامتي أنطاكية وموسكو في كنيسة يتجاور على حيطانها أيقونات قدّيسو أنطاكية وقدّيسو أرض روسيا. وذكّر سيادته أيضاً بتاريخ تأسيس هذه الممثلية ونموها منذ سنة ١٨٤٠ لكي تكون جسر محبة وسلام وتلاقي وتعاون بين أنطاكية وموسكو.

تقليد غبطته : وسام نجم بيت لحم

ثم جرت مراسم تقليد البطريرك يوحنا العاشر أعلى وسام في الجمعية الإمبراطورية الأرثوذكسية الفلسطينية الروسية: وسام نجم بيت لحم، من قبل ممثل الجمعية.

العشاء

بعدئذ أقيم حفل عشاء على شرف البطريرك يوحنا العاشر والوفد الأنطاكي المرافق له، في مقر الممثلية الأنطاكية دعى إليه سيادة المطران صيقلي وشارك فيه أكثر من خمسين شخصية من السفراء العرب والأجانب المعتمدين في موسكو إلى جانب شخصيات سياسية روسية ومنهم نائب رئيس وزير خارجية روسيا السيد ميخائيل بوغدانف وصاحب السيادة المتروبوليت إيلاريون الذي ترأس وفد كنيسة موسكو في العشاء.

في نهاية العشاء أهدى غبطة البطريرك يوحنا سيادةَ المطران نيفن «اوموفوريون» وهي من الحلل الليتورجية التي يلبسها رئيس الكهنة، مُطرّزة باليد من قبل راهبات دير السيدة في بلمانا، تعبيرًا عن روابط المحبة والشركة والامتنان لكل الجهد الكبير الذي يقوم به المطران نيفن ولنجاحه في الممثلية.

ثم توجه غبطته إلى المدعوين بكلمة مُعبِّرة جدًا تكلّم فيها عن خصوصيات وميّزات الشهادة الأرثوذكسية الأنطاكيّة المُنفتحة في لبنان وسوريا والمشرق ودورها الوطني.

ومما قاله في هذا الإطار: «نحن كنيسةٌ أرثوذكسيّة الهوية، مشرقية الهوى، حواريةُ الوجود، وطنيةُ الانتماء للديار. انتماؤنا للديار جعلنا في مطلع أولئك الذين صُنفوا في أوائل القرن العشرين على أنّهم من «حركة التحرر العربي». والتحرر العربي ضم في ما ضم مسلمين ومسيحيين. هذا الانتماء الوطني عند الكنيسة الأرثوذكسيّة الأنطاكيّة يجد صداه في الدور التاريخي الذي لعبته عبر الأجيال وما زالت.»

اليوم الرابع (الثلاثاء ٢٨ / ٠١ / ٢٠١٤)
قبل الظهر: في دير الثالوث الأقدس، «لافرا الثالوث المقدس- القديس سيرجيوس»، في سيرغي بوساد

في اليوم الرابع صباحاً كانت زيارة لغبطة البطريرك يوحنا العاشر والوفد الأنطاكي وبرفقة وفد كبير من بطريركية موسكو إلى دير الثالوث الأقدس الشهير والمعروف باسم «لافرا الثالوث المقدس- القديس سيرجيوس» في مدينة «سيرغي بوساد» التي هي على مسافة ٧٥ كيلومتر شمال شرق موسكو.

هذه «الرحلة-المحج» لهذا الدير الكبير جعلتنا كوفد أنطاكي ندخل ُدرجاً دُرجاً في أعماق تاريخ كنيسة روسيا النسكية والرهبانية والروحانية. فوطئت أقدامنا أراض مُقدسة شهدت جهادات نسّاك ارثوذكس كبار.

وسمعت آذاننا تراتيل أدتها جوقات كبرى بالعدد والتواضع وحسن الإداء، رحَّبت بالبطريرك الأنطاكي وَوفد الكنيسة التي يَؤُمُّها، وكأن بهذه الأصوات المنشدة كالملائكة تحمل لنا اليوم تراكمات تاريخية لإنشاد صلاتي قام عليه الدير لعهود وسنين طوال.

فهذا المُجمَّع الديري الكبير يُعتبر من أشهر وأكبر أديرة الكنيسة الروسية وأقدمها. سُمِّيَ على اسم القدّيس سيرغي رادونيجسكي كونه مؤسسه، ورفاته ورفات تلاميذه لا تزال فيه.

وتاريخ هذه البركة مؤرَّخ بجدرانيات الدير ورافقتنا اليوم في قاعة طعام رئيس الدير حيث تناول الوفد الأنطاكي الغذاء برفقة الوفد الروسي. وأهمية الدير تكمن أيضا في أنه مكان ظهور والدة الإله للقدّيس سيرجيوس مُعلنة له أنه سيكون له تلاميذ بإعداد كبيرة لا تُحصى مثل أعداد العصافير الكثيرة التي لا تحصى والتي رآها بالرؤيا.

وهذه الرؤيا أيضا هي مرسومة على جدرانيات قاعة طعام الدير حيث كانت مائدة المحبة اليوم على شرف بطريرك أنطاكية والوفد المرافق له. ومن معالم أهمية الدير التاريخية أيضا، أنه هناك رَسم كاتب الأيقونات الشهير القدّيس أندره روبلوف أيقونته الشهيرة، أيقونة الثالوث الأقدس، ورسم جدرانيات كاتدرائية الدير الرائعة، التي تحل رؤيتها عليك ببهاء ورصانة لترفعك إلى عالم لا تدري أنت إذا كنت فيه في عالم اليوم أم عالم الأمس ولكن بالأكيد في معية القدّيسين. ومن أهمية الدير الأيقونوغرافية، أن رسام الأيقونات الكبير دانييل تشيرنيي، رسم مع روبلوف أيضا بعضًا من هذه الجدرانيات.

الحديث عن مشاهداتنا في هذا الدير قد يطول وكنّا قد وصلنا إليه صباحًا وعند ترجل غبطة البطريرك استقبله رئيس الدير برفقة عدد كبير من الرهبان الذين رافقوه والوفد الأنطاكي، بموكب مهيب يمينًا وشمالاً على وقع التراتيل المتواترة.

صلاة الشكر

تقدّم غبطة البطريرك والوفد الأنطاكي إلى الطريق الداخلية المؤدية إلى أول كنيسة داخلية في الدير حيث كان بانتظارهم عدد كبير من الرهبان. فكانت صلاة الشكر بالعربيّة والروسيّة لأوّل مرّة. تلتها زيارة ضريح القدّيس سرجيوس، حيث لا تزال رفاته قائمة حتى اليوم. ثم زيارة لضريح أحد تلاميذه المباشرين في كنيسة ثانية ملاصقة للأولى. ومن ثم الوصول إلى الكاتدرائية الكبرى، حيث حضر هناك عدد كبير من تلامذة الأكاديمية الدينية والرهبان والزوار.

ألقى غبطة البطريرك يوحنا، بمناسبة هذه الزيارة، كلمة تناول فيها العلاقة التواصلية بين القداسة والصلاة والتأمل والتقوى والرهبنة ونمو الحياة اللاهوتية والأكاديمية، وممّا قال:

«الحري بنا، ونحن في هذا المكان أن نتأمل كيف أن حياتنا المسيحيّة الأرثوذكسيّة اللاهوتية والأكاديمية تستمد أصولها وترتوي إلى الآن بذكرى القداسة وتتقوى وتنهل من الرهبنة فتبني صروح العلم الأكاديمي على مداميك الحياة الصلاتية المعاشة والملموسة، لا على الفكر الكُتُبيّ المحض».

وكان له قول ودعوة بضرورة الجمع بين التقوى وأبحاث المفكرين لكي لا يكون لنا لاهوت أكاديمي فقط بل لاهوت مصلي تأمُّلي ينمي الفكر والأبحاث الفكرية اللاهوتية، فقال في هذا الصدد: «نحن مدعوون في كليات لاهوتِنا أن نجمع بين اثنين. نحن مدعوون أن نجمع ما بين تقوى الأولين وبساطة إيمانهم وأبحاث المفكّرين. نحن مدعوون أن ننظر المستقبل بخبرة الماضي وندرس الماضي بعيون المستقبل. لقد كان للتقى دورٌ واضحٌ في صون الإيمان وإيصاله لنا سواء في أنطاكية أو في روسيا، كما أن للعلم اللاهوتي دوراً هاماً في دعم هذا الإيمان وترسيخه. تقوى الأولين، كما يسميها البعض، أو غيرتهم هي التي أوصلت أرثوذكسيتنا من جيلٍ إلى جيل...»، «فاكتساب بساطة الإيمان يتماشى مع دور العلم اللاهوتي الأكاديمي. وحريٌّ باللاهوتي أن يعيش اللاهوت مُغترفاً في الوقت ذاته من خبرة الحياة الصلاتية المقترنة بالدراسة والتعمق في الكتب. اللاهوتي الحق هو الذي يتوسل كل الأشياء الصلاتية والأكاديمية ليصل إلى قرب صليب الرب ويسمع من المخلّص بنوّته للكنيسة بشخص يوحنا اللاهوتي وأمومتها لها بشخص العذراء.»

بعد الظهر: في مركز رئاسة مجلس الشيوخ لدولة روسيا الاتحادية

بعد الظهر، انتقل الوفد الأنطاكي برفقة وفد البطريركية الروسيّة إلى مركز رئاسة مجلس الشيوخ لدولة روسيا الاتحادية حيث كان لقاء موسَّع مع السيدة فالنتينا ماتفيينكو، رئيسة مجلس الشيوخ برفقة كبار معاونيها.

جرى في اللقاء عرض من قبل الطرفين حول التحديات والصعوبات والأخطار التي تواجهها منطقة الشرق الأوسط والوضع المتأزم في سوريا وغير المستقر سياسيًا في لبنان، وسبل إنهاء الصراع في سوريا بالطرق السلمية وضرورات الحوار السياسي فيها كسبيل لحل الخلافات وإعادة السلام.

كما كان تبادل لوجهات النظر حول ما يطرح من مُقاربات حول الوجود المسيحي في الشرق وتحدياته. فكان عرض من قبل السيّدة ماتفيينكو لرؤية الدولة الروسية وطرق مقاربتها لمجمل هذه المواضيع.

وتبعه عرض للبطريرك وتأكيد من قبله على بعض الثوابت الوطنية التي من خلالها تتحرك البطريركية الأرثوذكسية الأنطاكية ومنها العيش المشترك الإسلامي المسيحي، مبدأ الاعتدال وقبول الآخر ورفض استخدام الدين كعنصر تفرقة، رفض التطرف الذي يرفض حرية الآخر ويفرض عليه أمورًا لا يُريدها، ويمكننا ايجاز النقاط بـ:

- مبدأ المواطنة والتساوي كمواطنين مسلمين ومسيحيين بالحقوق والواجبات،
- رفض مقولة تصارع الأديان،
- رفض التعاطي مع مكونات أساسية و تاريخية من منطق الأقليات والأكثريات،
- رفض الهجرة والتهجير القسري للمسيحين وضرورة القيام بمشاريع جامعة ترسخهم في أرضهم إلخ.

كما جرى الحديث أيضا على الآلام والجروح الناتجة عن خطف المطرانين وبعض الكهنة ومؤخرًا قضية احتجاز راهبات معلولا.

فأكد البطريرك أن التعدي على أي إنسان هو أمر مرفوض. وبعد أن كرر الشكر للشعب الروسي، كنيسة ودولة، للتعاطف مع آلام الشعب السوري والشكر للمساعدات التي قدمت للإغاثة، كان شكر من البطريرك للجهود والاتصالات الروسية المبذولة على أعلى المستويات من أجل إطلاق سراح المطرانين والراهبات وبقية المخطوفين.

تقليد غبطته: ميدالية الفدراليّة

في نهاية الاجتماع، قلّدت السيّدة ماتفيينكو البطريرك يوحنا ميدالية الفدرالية، وكان تبادل للهدايا بين الوفدين.

مساءً: في كنيسة «والدة الإله فرح المحزونين» في «بولشايا أوردينكا»

في المساء قام الوفد الأنطاكي بزيارة لكنيسة «والدة الإله فرح المحزونين» في شارع «بولشايا أوردينكا»، التي يرعاها المتروبوليت إيلاريون ألفييف، متروبوليت فولوكولامسك ورئيس دائرة العلاقات الخارجية في بطريركية موسكو.

وهذه الكنيسة تعتبر من أشهر كنائس موسكو وهي تم بناؤها في ١٧٩٢ وأهميتها تكمن في أنها تحوي الأيقونة العجائبية الشهيرة المعروفة باسم «والدة الإله فرح المحزونين» والتي يتم تعيدها في ٦ تشرين الثاني حيث يتهافت آلاف المؤمنين للتبرك منها.

عند وصول البطريرك يوحنا والوفد الأنطاكي المرافق له،

كان في استقبالهم المطران إيلاريون وفريق عمله حيث دخلا الى الكنيسة وتبركا من الأيقونة العجائبية المقدسة.

من ثم كان تبادل للكلمات بين غبطة البطريرك وسيادة المطران إيلاريون والتأكيد على ضرورة متابعة التعاون لما فيه مصلحة الأرثوذكسيّة والشأن المسيحي في العالم.

ثم قدم سيادتُه لغبطته أيقونة قديمة لوالدة الإله «فرح المحزونين».

بدوره قدم غبطتُه لسيادته عصا للرعاية الأسقفيّة مصنوعة يدوياً في دمشق.

تلا اللقاء في الكنيسة حفلة عشاء أقامها سيادة المطران إيلاريون على شرف البطريرك والوفد الأنطاكي المرافق له حيث تم التباحث بقضايا مختلفة تهم الطرفين والكنيستين والشهادة الأرثوذكسيّة والمسيحيّة في عالم اليوم.

اليوم الخامس (الأربعاء ٢٩/٠١/٢٠١٤) في السفارة السوريّة

أيضاً كان لصاحب الغبطة زيارة للسفارة السورية بدعوة من سعادة السفير حيث أقيم على شرف غبطته حفل استقبال بحضور العديد من الشخصيات.

في وزارة الخارجية

وفي اليوم ذاته كان لصاحب الغبطة لقاء هام مع وزير الخارجية الروسي سيرغي لافروف، حيث بحث معه القضايا العامة وعلى الأخص السورية منها، حيث أكد غبطته على أن حقّ كل مواطن سوري العيش بكرامة وحرية، وأن المسيحيين ككل المواطنين ينشدون السلام والاستقرار والأمان، وكان توافق على أن المكانة الكبرى هي للحوار الذي هو السبيل لحل الأزمة.

مأدبة عشاء ختاميّة

أقام قداسة البطريرك كيريل على شرف غبطة البطريرك يوحنا والوفد الأنطاكي المرافق له مأدبة عشاء محبة تتويجًا لهذه الزيارة التاريخية، وذلك في دارة البطاركة الروس خارج موسكو وهي مقر قداسة البطريرك كيريل في منطقة بيريدلكينو.

وحضر أيضًا العشاء سيادة المطران إيلاريون، متروبوليت فولوكولامسك ورئيس دائرة العلاقات الخارجية في بطريركية موسكو وسيادة الأسقف بانتلايمون شاتوف، أسقف أوريحوفو زوييفو، والأب نيكولاي بالاشوف نائب رئيس دائرة العلاقات الخارجية، والأب أرسيني سوكولوف مبعوث قداسة البطريرك كيريل لدى بطريركية أنطاكية وسائر أعضاء الوفد الكنسي الروسي الذي رافق الوفد الأنطاكي طيلة الزيارة بمحبة واحترام مسهلاً كلّ ما يلزم من الناحية اللوجستية.

بعد كلمات قداسته وغبطته تكلم كلّ من سيادة المطران باسيليوس، مطران عكار، وبعده سيادة المطران إفرام، مطران طرابلس، ومن ثم المحامي كارول سابا، والدكتور جورج نحاس ومعالي الوزير والسفير السابق حسان ريشة وكلّ هذه الكلمات نوّهت بحرارة ورصانة الاستقبال وأهمية هذه الزيارة من أجل تطوير وتثمير العلاقات بين الكنيستين أكثر فأكثر.

وتكلّم أيضًا سيادة المطران إيلاريون مُشددًا على أهمية التشاور والتعاون المشترك والمتواصل. وثمَّن كثيرا بكلمات المحبة والتقدير قداسة البطريرك كيريل وغبطة البطريرك يوحنا للمطران نيفن صيقلي، رئيس أساقفة فيليبوبوليس وممثّل صاحب الغبطة بطريرك أنطاكيّة يوحنا العاشر لدى بطريركية موسكو، لكلِّ عمله بحيث كان لولباً للخدمة وشماساً للوحدة ولإنجاح هذه الزيارة.

في نهاية العشاء تم التوقيع من قبل صاحبي الغبطة على البيان الختامي المشترك الصادر عن الزيارة التاريخية (مرفق نصّ البيان، صفحة ٣٠).

اليوم الأخير (الخميس ٣٠/٠١/٢٠١٤)
اختتام الزيارة والعودة

في ختام الزيارة السلامية لغبطة البطريرك يوحنا العاشر بطريرك أنطاكية وسائر المشرق للروم الأرثوذكس إلى بطريركية موسكو وسائر روسيا، وُدِّع غبطته والوفد المرافق في مطار موسكو بنفس الحفاوة التي استقبل بها.

وكان في استقبال غبطة البطريرك يوحنا في مطار بيروت معالي الوزير نقولا نحاس، وزير الاقتصاد في حكومة تصريف الأعمال، ممثلاً فخامة رئيس الجمهورية اللبنانية، السيد العماد ميشال سليمان. وحضر أيضًا سعادة السفير ألكسندر زاسبيكين، سفير دولة روسيا الاتحادية في لبنان، وسيادة الأسقف غطاس هزيم رئيس دير البلمند البطريركي، وقدس الأرشمندريت ألكسي مفرج ممثّلاً سيادة متروبوليت بيروت المطران الياس عودة، وعدد كبير من الآباء الكهنة والشمامسة.

بعد استعراض حرس الشرف، كانت استراحة لغبطته ولقاء سريع مع الإعلاميين وصف فيه الزيارة «بالناجحة جدا».

وأيضاً أرسل غبطته من بيروت إلى البطريرك كيريل والكنيسة الروسية: «كلّ مشاعر المحبة والتقدير على حسن الاستقبال والضيافة الكريمة التي أبدوها تجاهنا وتجاه الوفد المرافق لنا». وأضاف غبطته: «لا يخفى على أحد أن العلاقات بين الكنيستين تاريخية وقديمة جدًا، وفي تعاون دائم ومتواصل، وأتت هذه الزيارة كي تكلل هذه الجهود والمساعي الكنسية في ما يتعلق بشكل خاص بعلاقة الكنيستين الأنطاكية والروسية».

بيان مشترك صادر عن
غبطة يوحنّا العاشر بطريرك أنطاكية وسائر المشرق
وقداسة كيريل بطريرك موسكو وسائر روسيا

بدعوة من صاحب القداسة البطريرك كيريل الأول، بطريرك موسكو وسائر روسيا، قام صاحب الغبطة البطريرك يوحنا العاشر، بطريرك أنطاكية وسائر المشرق، بزيارته السلامية الأولى للكنيسة الروسية بين ٢٥ و٣٠ كانون الثاني ٢٠١٤. أتت هذه الزيارة في ظروف صعبة تعيشها الكنيسة الأنطاكيّة بسبب العنف الحاصل على أرضها وما ينتج عنه من مآسٍ يتعرض لها إنسان هذه الديار.

أتاحت هذه الزيارة المناسبة للتشاور بين الكنيستين حول العديد من الأمور التي تشكل قاسما مشتركا لشهادتهما وخدمتهما. تجد الكنيستان أنه من الضروريّ أن تعلنا ما يلي:

١ – مهمة الكنيسة في المجتمع هي أن تشهد قولاً وفعلاً لمحبة الله للإنسان بغض النظر عن دينه وانتمائه. وعملاً بقول السيّد «طوبى لصانعيّ السلام فإنهم أولادًا لله يدعون» (متى ٩:٥) نحن نعلن تمسّكنا بالسلام وبكرامة الإنسان وحقوقه، فكلّ إنسان هو محط المحبة الإلهيّة ومن أجله تجسّد الكلمة، ويعمل الروح باستمرار. تستلهم الكنيستان هذا المبدأ الأساسيّ في مقاربتهما لكل ما من شأنه أن يوجّه عملهما وتعاونهما وخدمتهما.

٢ - يتألم كل أبناء الكنيستين لما يجري اليوم في سوريا من عنف وقتل وتعرض للحرمات. ونحن نرفض رفضًا تامًا أن يكون إنسان هذه الديار عرضة للقتل، والتهجير، والخطف، والحد من الحريات.

تعتبر الكنيستان أن الحل الوحيد الممكن لوضع حدّ لهذه المأساة هو اعتماد الحوار المنفتح والبنّاء كضامن للسلام في سوريا كما لاستقلالها، ووحدة أراضيها، ومساواة كلّ المواطنين بالحقوق والفرص. إنّنا ندعو المجتمع الدولي ليكثّف جهوده لإحلال السلام في سوريا ولدعم المسار الذي بدأ في جنيف. استتباب السلام في سوريا واحترام التنوّع الديني فيها هما عاملان هامان ليعمّ السلام كل منطقة الشرق الأدنى.

كما تأمل الكنيستان أن تتم معالجة كافة الأمور السياسية في لبنان كما في العراق أو في مختلف بلاد المشرق بروح سلامية ترفض منطق القوة أو الاستقواء، وتنبذ كل ما من شأنه أن يؤدي إلى ممارسة الضغوط التي يمكن أن تصدر عن التطرّف والإرهاب.

وتشدد الكنيستان على أن الوجود المسيحيّ الأنطاكيّ في الشرق أصيل ويعود إلى ألفيّ سنة، وأن المسيحيين هم جزء لا يتجزّأ من النسيج المجتمعيّ في المدى الأنطاكيّ. ونحن نؤمن أنه من الأهميّة بمكان دعم كلّ ما من شأنه أن يساعد الكنيسة الأنطاكيّة على المضيّ قدمًا في شهادتها الخلاصيّة في العالم.

وهذه مناسبة للإعلان مجدّدًا عن ضرورة العمل الجاد للافراج عن كافة المخطوفين في سوريا ونخصّ بالذكر أخوينا المطرانين بولس ويوحنا والآباء الكهنة وراهبات وأيتام دير معلولا.

٣ - في المحادثات التي تمت أثناء الزيارة لاحظ الوفدان الروسي والأنطاكي وجود كثير من الحقول التي يمكن للكنيستين أن تتعاون فيها أكان ذلك في ميادين طارئة كموضوع الإغاثات حاليًا، حيث عبّر الشعب الروسيّ بأكمله عن محبته لإخوته في سوريا بروح العطاء التي تميّز بها، أو في ميادين أخرى كالتعليم اللاهوتي، وزيارات الحج إلى المعالم الروحيّة لكلّ من الكنيستين، وتبادل البعثات الثقافيّة لما في ذلك من فائدة على صعيد توطيد العلاقات بين شعبيّ الكنيستين.

٤ - وانطلاقًا من خبرة التعاون بينهما تؤكّد الكنيستان على الحاجة الملحّة لدعم شهادة الأرثوذكسيّة في العالم. فالأرثوذكسيّة مدعوّة أن تنقل إلى العالم غنى روحانيتها في معالجة شؤون إنسان اليوم الاجتماعيّة فتنقل إليه بشرى الفرح التي أتى بها الكلمة المخلّص.

وترى الكنيستان أن تمتين الوحدة الأرثوذكسيّة أمر على شيء كبير من الأهميّة، لذا فالتحضير المسبق والمتأنّ لأيّ اجتماع أرثوذكسيّ جامع عبر لجان مختصّة، تتمثّل فيها كل الكنائس، هو الذي يكفل لهذا الاجتماع النجاح المرتقب. يتطلّب هذا الأمر اعتماد روح التواضع والانفتاح والمحبة في العمل على إنهاء الخلافات الأخويّة القائمة.

٥ - كانت هذه الزيارة أيضًا مناسبة لتبادل الآراء حول العلاقات بين الكنائس المسيحيّة وللتأكيد على ضرورة التنسيق بين الكنيستين للعمل على دفع هذا المسار بالاتجاه الصحيح استنادًا إلى مستلزمات الشهادة المسيحيّة في العالم.

٦ - عرفت الكنيستان الروسيّة والأنطاكيّة خبرة تعايش مميزة مع الإسلام. لذا ترفض الكنيستان رفضًا قاطعًا كل دعوات التطرّف وكل خطاب يدعو إلى الكراهية وتدعوان المسيحيين والمسلمين ليعملوا معًا في سبيل خير أوطانهم.

٧ - تأكيدًا على روح المحبة التي تجمعهما، وعلى ضرورة متابعة الأمور التي أثيرت في هذه الاجتماعات وفي هذه الظروف الحرجة بالذات، تمت تسمية لجنة متابعة بين الكنيستين من شأنها أن تعمل على دراسة خطط تسمح بوضع ما نتج عن هذه الزيارة موضع التنفيذ.

موسكو في التاسع والعشرين من كانون الثاني ٢٠١٤

مدائح القدّيس يوحنا الذهبي الفم في القدّيسين الأنطاكيّين

ترجمة المتروبوليت باسيليوس منصور مطران عكار وتوابعها

في مجال النشاطات العظيمة للقدّيس الذهبي الفم، وجّه خطابات مدائحية، غير تلك التي وجّهها إلى شخصيّات مبجّلة من العهد القديم، كالتي لابراهيم واليعازر والمكابيين، مدح بها الرسل كبطرس وبولس والشهداء بشكل عامّ وبشكل خاصّ أحياناً. كما للقدّيسين: فيلوغونيوس، ملاتيوس، لوقيانوس، بابييلا، يوفيندينوس ومكسيمينوس، القدّيسة بيلاجيا، والقدّيس اغناطيوس، والقدّيس افستاثيوس. ووجّه خطابين في حياة القدّيس رومانوس، ووجّه للقدّيسات: فيرنيكي وبروسذوكي ولأمّهما دومنينا، ليوليانوس وبرلعام، وللشهداء المصريين بشكل عامّ. وجّه مديحاً لأسقف طرسوس ذيودوروس، ومديحاً للقدّيسة الشهيدة تقلا، وللشهيد في الكهنة فوقا، وللقدّيسة ذروسيذا.

وجّه القدّيس يوحنا الذهبي الفم هذه الخطابات في أنطاكية، وبعض هذه الخطابات وجّهه في مديح بعض الأشخاص الذين صاروا أساقفة في أنطاكية أو ارتبطوا بشكل كبير مع أنطاكية. لم ترتق هذه الخطابات إلى مستوى خطاباته في مديح: ابراهيم وأليعازر، والمكابيين، وبولس وبطرس. ولكنّها تميّزت باحتوائها فحوىً غزيراً وحيويّةً بالصور التي رسمت في هذه الخطابات. بعضها يصف بطريقة قويّة الأحداث الدراماتيكيّة إلى درجة أنّها تهزّ بكلّ معنى الكلمة القارئ حتى في أيامنا هذه.

بعد هذا المدخل السريع سيتبع نصَّ الخطابِ لكلّ مديح بالترتيب، كما وردت أعلاه. أما نصّ مديح فيلوغونيوس فقد ورد في الجزء ٣٥. أغلب المعلومات أخذناها من أجزاء من مجموعة كتابات الآباء اليونان للأستاذ الجامعي بنايوتيس خريستو، بعضها كما هي وبعضها مختصر، بينما نصوص الخطابات أخذناها من مجموعة (B. Mon Faucon)، ومن مجموعة (Migne)، وعلى هذه جرت بعض الإصلاحات.

خطاب مديح في القدّيس ملاتيوس بطريرك أنطاكية

كان القدّيس ملاتيوس من أقوى الشخصيّات الكنسيّة في النصف الثاني من القرن الرابع. ولد في عائلة غنيّة وذات مرتبة

اجتماعية في مدينة ميليتيني في أرمينيا الصغرى حوالي سنة ٣٢٠. ظهر على مجرى أحداث التاريخ، بحسب معلومة عند القدّيس أبيفانيوس القبرصي سنة ٣٥٨. حصَّل في بلدته على ثقافة خطابية ولاهوتية هامة، وفي مدارس أنطاكية، المركز الروحي المهم في ذلك العصر.

كان في البدء صديقاً للمشبِّهة وضدّ القائلين بالمساواة في الجوهر، ولهذا قُبل من قِبَل اكاكيوس أسقف قيصرية وجماعته. وباهتمام اكاكيوس عزلوا سنة ٣٨٥ قائد الرهبان افستاثيوس ونصّبوا مكانه ملاتيوس على عرش كنيسة سبسطية. ولكن بما أنَّه لم يُقبل من شعب تلك الأبرشية رحل إلى مدينة حلب (فيريا) السوريّة، وفي السنة التالية أخذ مكاناً في مجمع سلفكية ووقع مع الموجودين نص اعتراف اكاكيوس.

في سنة ٣٦٠ اختاره المجمع المنعقد في أنطاكية رئيس أساقفة عليها، ومنتخباً من كل الجماعات الكنسية. انتخبته المجموعات الآريوسية بسبب مقدرته الخطابية وتمكنه من الاقناع، وبسبب

حياته الصالحة، وعلى أمل أنه بإمكاناته سيستطيعون أن يقنعوا الأرثوذكس. بينما انتخبه الأرثوذكس لأنهم آمنوا بأنه منهم.

ومن ذلك الوقت صار مشرِّعاً للإيمان الأرثوذكسي. في حفلة تنصيبه، سُمِعَت كل الجهات المتضادة. ولما تكلم آخر الكل القدّيس ملاتيوس فاجأ الآريوسيين وأبهج الأرثوذكسيين، وبينما أعطى بعض الإيضاحات امتُدِحَ بسرور كبير من قبل الشعب، ولما عجز الآريوسيون عن إقناعه، نجحوا بإصدار أمرٍ بخصوص نفيه إلى ميتيليني. وبناء عليه انقسمت كنيسة أنطاكية. القسم الأكبر بقي مخلصاً لملاتيوس المنفي، بينما جماعة صغيرة من الأرثوذكسيين المتشددين رفضوا ملاتيوس لأنَّه وبالأساس قد انتخب من قبل جماعة الآريوسيين وتبعوا بافلينوس الذي كان قد شرطن بلا شرعية من قبل لوكيفر كالاريوس واعتُرِفَ به من قبل روما والاسكندريّة. والآريوسيون قاموا من جديد بانتخاب تلميذ اريوس ايفزويّوس. بعد قرار الامبراطور يوليانوس ، عاد من المنفى، وفي مجمع ٣٦٣ باشتراك ٢٧ أسقفاً برئاسة ملاتيوس قَبِلَ تحديد الأمؤوسيوس (omoousios). وفي سنة ٣٦٥ نفي من قبل الامبراطور والنس لمدة عامين. وفي عام ٣٧٢ نفي لمدة ستة أعوام، عند ذلك أقام في مزرعة له قرب ميليتيني. وكان بالفعل قائد الأرثوذكسيين. عاد إلى عرشه سنة ٣٧٩ فدعا إلى مجمع كثير العدد حكم على الهرطقات.

في المجمع الثاني لعب دوراً رئيسياً ولكنه توفي خلال أعمال المجمع في أيار سنة ٣٨١. وتفوّه بخطاب التأبين القدّيس غريغوريوس النيصصي وبحضور الامبراطور ثيودوسيوس الكبير. أما رفاته فقد نقلت إلى أنطاكية في شباط سنة ٣٨٢ وفي هذا اليوم يقام تذكاره وبعد أعوام قليلة، قام القدّيس يوحنا الذهبي الفم (وكان قد شرطن من قبل القدّيس ملاتيوس) بالقاء خطابه المدائحي هذا.

لا زال خطابه الأول في أنطاكية محفوظاً وكان قد سبب خصومات وضجة وفيه يعلن إيماناً نيقاوياً من غير أن يستخدم اصطلاح نيقية المساوي في الجوهر ويستخدم مرتين تعبير مشابه من غير أن يثير الأرثوذكسيين ويبدو أنه حافظ على تعبير المشبهين وأخذ جوهر التعليم الأمؤوسياني.

وحوفظ أيضاً على الرسالة التي دبّجها باسم مجمع أنطاكية سنة ٣٦٣.

في القدّيس لوقيانوس

كان القدّيس لوقيانوس كاهناً في أنطاكية. رجلاً فاضلاً في كل شيء، ومشهوراً بحياته النسكية، ودراساته اللاهوتية. اقتيد إلى مدينة نيقوميذيا حيث كان معسكراً الامبراطور مكسميانوس، وبعد أن استجوب أمامه عن تعليم الإيمان سلِّم إلى السجن وبعدها قتل سنة ٣١١ أو ٣١٢.

خطاب المديح هذا تلي من القدّيس يوحنا الذهبي الفم في عام غير معروف بالضبط ولكن جاء في اليوم الثاني لعيد الظهور الإلهي. المواضيع المطروحة في هذا الخطاب ضرورة الحضور إلى الكنيسة والفائدة منه. العذابات الرهيبة التي خضع لها الشهيد وتحليل الجواب البطولي الذي قدَّمه على أسئلة معذّبيه: أنا مسيحي. ويختم قدّيسنا خطابه بنصيحة وتشجيع أن يتأمّل المؤمنون في أوقات السلم ما هو للحرب؛ حاملين معهم دائماً سلاح الإيمان غير المنهزم.

في القدّيس بابيلا

القدّيس بابيلا صار بطريركاً على أنطاكية من سنة ٢٤٠ – ٢٥٢. وقد خلف زافينوس. ولما علم بأن الملك نومريانوس قد ذبح ابن ملك الفرس الذي كان عنده بمثابة رهينة للحفاظ على السلم وقدَّمه للآلهة، وأنَّه أراد أن يدخل إلى كنيسة المسيحيين، وقف القدّيس بوجهه بكل شجاعة مانعاً دخوله إلى داخل المعبد وبعد أن وبّخه طرده من الكنيسة. سكت (الملك) في البداية خائفاً من غضب المسيحيين، ولكنّه استثقل حمل هذا الخوف. ففي اليوم التالي، دعا (الملك) بابيلا إلى القصر. ولأنّه (بابيلا) لم يُنكر إيمانه بالمسيح، قُيّد بالسلاسل واقتيد عبر المدينة إلى السجن، وقُطعت هامته سنة ٢٥٢، ودفن مع سلاسله. جُلبت رفاته إلى ضواحي أنطاكية ووضعت في دفني. ولكن، سنة ٣٦٢، أمر يوليانوس الجاحد بإبعادها من هناك، مما استدعى تدخّل الله بشكل عجائبي.

نطق القدّيس يوحنا الذهبي الفم بخطابين مدائحيّين. في الخطاب الثاني، يشرح بكل تفصيل كلّ ما حصل. نُشرت هذه الخطابات في الجزء ٣٤ من سلسلة كتابات القدّيس الذهبي الفم الكاملة.

يقام تذكاره في ١٥ كانون الثاني وفي ٤ أيلول.

في مديح الشهيدين يوفينديوس ومكسيمينوس

عاش هذان الشهدان القدّيسان في القرن الرابع، وخدما في جيش يوليانوس الجاحد المحارب الكبير للمسيحيّة. ولما كانا مشتركان في اجتماع في أنطاكية، كان قد نظّم هناك سنة ٣٦١، لم يستطيعا الاحتمال فاحتجّا ضدّ الامبراطور. فاشتكي عليهما

إلى يوليانوس من قبل بعض رجالات قصره (الكوالكه). وبعد أن عُذِّبا بعذابات متنوعة، ولم يقبلا أن ينكرا إيمانهما بالمسيح قُطعت هامتاهما.

لا توجد لدينا معلومات أكثر عنهما، يصف القدّيس الذهبي الفم هذه الحادثة بكلّ بهاء في خطابه هذا.

في مديح القدّيسة بيلاجيا

تتحدَّر القدّيسة بيلاجيا من عائلة أنطاكيّة ارستقراطية. لما علم الامبراطور نومريانوس أنّها مسيحيّة أرسل جنوداً للقبض عليها. ذهب الجنود في ذلك الوقت وحاصروا بيتها، ولما قُبض عليها طلبت من الجند أن يدعوها تدخل إلى غرفتها لارتداء ملابسها، وبعد أن صلّت إلى الله رمت بنفسها من على جرف عال وماتت.

في هذه القدّيسة، حاك القدّيس الذهبي الفم خطاباً رائعاً. فيه يمدحها على شجاعتها مركزاً على أن "موت الشهداء هو نصر الشهداء"، "وأن الشتيمة بسبب المسيح تجلب لنا كرامة، ومشهوران المقطعان في الميناون: "من الجرف هربت من جرف العيب الكبير، وحطمت العدو بتهذيب يا بيلاجيا".

يقام عيدها في ٨ تشرين الأوّل.

في الشهيد في الكهنة اغناطيوس

صار القدّيس اغناطيوس خليفة للرسل، وصار الأسقف الثاني على أنطاكية بعد القدّيس ايفوذيوس. كان تلميذاً للقدّيس يوحنا اللاهوتي، بينما يقول عنه ثيوذوريتوس قورش أنه شرطن أسقفاً على أنطاكية من قبل القدّيس بطرس. ساد على كنيسة الأنطاكيّين أربعين سنة.

قبض عليه في اضطهاد تراجان، وعذّب أولاً في أنطاكية ثم أرسل إلى روما مخفوراً ليكون طعاماً للوحوش. وبينما كان يعبر الكنائس العديدة شدّد المسيحيين هناك أن لا يمنعوا الوحوش، ولكن ترجاهم أن يدَعوها أن تأكله، وأن تطحنه كقمح بأسنانها ليصير خبزاً لذيذاً نقيًّا لله. وبالفعل رُمي للوحوش، واستُشهد سنة ١٠٧ أو ١١٣.

حوفظ على سبع رسائل رائعة من رسائله. إلى أفسس. مغنيسيا. ترالیانوس. الرومانيين. فلاديلفيا. وأهل أزمير وإلى بوليكربوس. وحوفظ على رواية استشهاد اغناطيوس التي دوّنت في القرن الرابع أو الخامس للميلاد.

بهذا الخطاب العظيم يمدح القدّيس الذهبي الفم القدّيس اغناطيوس على شجاعته العظيمة التي أبداها أمام الاستشهاد والموت، ويحبك من كل حياته المدهشة مجموعات التيجان التي نالها.

وينهي المديح بنصيحة للمؤمنين أن يزوروا باستمرار مزار الشهيد لكي يحصلوا من هناك على قوّة. لأن هذا الكنز كما يسمّيه: نافع للكل وللمرضى والأصحاء.

مديح القدّيس أفستاثيوس

يسمي المؤرخ ثيوذوريتوس القدّيس أفستاثيوس بالعظيم. إذ كان أكثر ممثلي الأرثوذكسيّة في سنوات رئاسة كهنوته (٣٢٤ – ٣٣٠)، وكان ضحيّة الآريوسيين الأولى. ولد في سيدا البامفيليّة حوالي سنة ٢٩٠. تعلّم في مسقط رأسه أو في انتوسا اليونانية القريبة إلى مدينته، ولربما تتلمذ على يد ميثوديوس الأولمبي. يسميه القدّيس أثناسيوس رجلاً معترفاً ولربما لأنه قد تعرَّض للاضهاد مرّة ما أو بسبب الشدائد التي عاناها.

سنة ٣١٩ انتخب أسقفاً على حلب السوريّة، وسنة ٣٢٤ استلم أسقفية أنطاكية. وكان صديقاً للأسقف هوسيوس. لعب دوراً هامًّا في مجمع أنطاكية وظهر مدافعاً ثابتاً عن الكنيسة.

وبحسب ثيوذوريتوس: وجّه خطاباً نحو الامبراطور عند إعلان افتتاح أعمال المجمع الأول في نيقية. بينما يؤكد أفسافيوس أن الذي وجه الخطاب كان الأسقف الذي تقدم جماعة اليمين في الاجتماع وبدون أن يذكر اسمه. أما الذي ترأس فهو افستاثيوس الذي كان أهم شخصية في المجمع بعد الامبرطور.

اشترك افستاثيوس في انتشار المسيحية في جيورجيا وخاصة في تنظيم كنيستها. ولكن الجهاد تحوّل لفرض قرارات مجمع نيقية. وصراعه المستمر مع افسافيوس القيصري بسبب تباين عقائدهما كان له كنتيجة تجريده من قبل مجمع محلي في أنطاكية عقد سنة ٣٣٠، وعلى أساس تهمتين: (سابليوسيّة)، وعلاقته (بامرأة شريكة). فنفي من قبل الامبراطور قسطنطين إلى ترايانوبوليس في تراكي. هذا الحدث استدعى اضطرابات في كنيسة أنطاكية.

فالبعض طالب بعودته والبعض الآخر كان يطالب بنقل أسقف قيصريّة إلى أنطاكية حتى أخذ عرش أنطاكية ملاتيوس أسقف حلب السابق. وفي هذا الوقت حدث انشقاق آخر بين الأرثوذكسيين لأن أتباع افستاثيوس طلبوا أسقفاً جديداً وهو بافلينوس تلميذ بافلينوس الأوّل، وحلّت المشكلة سنة ٤١٥. وفي سنة ٤٨٢، جلبت رفات القدّيس افستاثيوس إلى أنطاكية من مدينة فيلبس في مكدونيا حيث رقد في عام غير معروف بالضبط.

يؤكّد خطاب المديح من قبل الذهبي الفم أنّ عبور القدّيس أفستاثيوس من عرش بطريركية أنطاكية كان مفيداً. فقد كان أفستاثيوس كاتباً غزيراً وكتاباته ذات مستوى عالي وذكرى صالحة. كتاباته هذه بحسب القدّيس ايرونيموس تتمحور: ضدّ أوريجنس، ضدّ الآريوسيين، وحول المزامير. وله رسائل عديدة. فقط كتاباته ضدّ اوريجنس لا زالت موجودة بالكامل، بينما قد وصلتنا من البقية شذرات. وينسب إليه الكثير من الكتابات. تعليمه بخطوط عريضة يلخّص بأنَّ طبيعة الآب والابن واحدة ولكن شخصيّتان متغايرتان ويشكّلان وحدة. الكلمة غير مخلوقة، وبالطبع هو ابن حقيقي وهو الكلمة الخالق بحسب الكتاب. ويسمّي العذراء والدة الإله ويقبل بتعبير الكلمة الإنسان كتشديد على كمال الطبيعة الإنسانية، ورَفَضَ التفسير الرمزي عند الكاتب اوريجنس وتعليمه حول وجود النفس المسبق.

في القدّيس الشهيد في الكهنة رومانوس

عاش رومانوس أيام ملك مكسيميانوس. وسنة ٣٠٣، وبسبب حماسه الذي أبداه لأجل الإيمان المسيحي، عندما الوالي أسكلبياذيس حاول أن يدخل إلى معبد الأوثان، ذهب القدّيس ومنعه قائلاً له: «إن الأوثان ليست بآلهة». فقبض عليه حينئذ وبعد أن ضُرب على وجهه عُلِّق ونُتِّف جسده. وعند ذلك طلب القدّيس أن يجلبوا طفلاً صغيراً، ولما جُلب أمامه، سأله الوالي: بأيّ إله تؤمن؟ أجاب الطفل: بإله المسيحيين. وبحسب القدّيس الذهبي الفم، الذي سأله هو الشهيد رومانوس. فقطع رأس الطفل، بينما قطع لسان الشهيد لكي لا يعود بإمكانه أن يبشر. ولكنه إذ كان يعاين تلاميذه ينكرون إيمانه المسيحي، وغير حاصل على دعمهم تألم لأجل ذلك. ولكن المسيح أعطاه صوتاً بطريقة عجائبية، ولما صار الأمر معروفاً لدى مكسسميانوس أمر أن يمات في السجن. وهكذا، حصل على الإكليل الذي لا يذبل.

لقد دبَّج القدّيس يوحنا الذهبي الفم خطابين مدائحيّين رائعين يؤرّخ بهما كلّ الحدث وبطريقة عرفها هو وحده، وبهما يجعل هذا النجم اللامع أشدَّ لمعاناً. يعيّد له في ١٨ ت٢.

في القدّيسات الشهيدات فيرنيكي وبروسذيكي وأمّهما

لا توجد لدينا معلومات دقيقة عن الشهيدات من أي مصدر آخر غير هذا الخطاب الرائع من القدّيس يوحنا الذهبي الفم. نحصل على القليل من المعلومات عن موتهما الاستشهادي مع والدتهما دومنينا من عرض المؤرّخ أفسافيوس حول استشهاد النساء الأنطاكيات والذي يتوافق مع ما يؤرّخه القدّيس الذهبي الفم في كلمته المدائحية هذه.

يشدّد القدّيس يوحنا الذهبي الفم أنّ الموت الذي كان قديماً يشكّل رعباً، حتى ولعظماء الرجال (ابراهيم – يعقوب – ايليا)، قد صار في عصر النعمة مستحقَراً عند النساء، وبشكل عامّ، مرغوباً عند المؤمنين الحقيقيين. ثم يكمل واصفاً الحالة المرعبة التي سادت في تلك أزمنة الاضطهادات، ويؤرّخ بكل تفصيل موت هؤلاء الشهيدات الحقيقيات غرقاً في النهر، موت الوالدة مع ابنتيها، لكي يهربن من هدر الكرامة ورفض الإيمان بالمسيح.

في الشهيد يوليانوس

يعود نسب القدّيس يوليانوس من عين زربة من المنطقة الكيليكية الثانية. كان والده يونانياً مشيراً في الرتبة ووالدته مسيحيّة. ومنها عرف شهيدنا الإيمان بالمسيح، وكان يخصص وقتاً كثيراً لدراسة الكتب المقدّسة. وفي عمر العشر سنوات اقتيد أمام القائد مكريانوس ولأنه رفض أن يذبح للأوثان عذِّب ثم رمي بالسجن وسمح فقط لوالدته أن تزوره على أساس أنها ستقنعه بأن يذبح للأوثان. ولكنها نصحته ألا يرفض المسيح. وهكذا عندما سئل للمرة الثانية، أجاب بأنه باقٍ على إيمانه بالمسيح حتى الموت. عند ذلك وُضِعَ في كيس كبير فيه أفاعي وزحافات سامة أخرى، ورمي في البحر رابحاً إكليل الشهادة.

يصف كلّ الأحداث، وبشكل حيوي جداً، القدّيس يوحنا الذهبي الفم خلال مديحه الذي يدبّجه للشهيد. مشدّداً على أنّ الشهداء قد جابهوا كلّ الصعوبات وتطلّعوا لجهة واحدة، نحو السماء، وللنعم المهيأة هناك. وإذ أكرمهم الله وهبهم قوة عظيمة. ولهذا الذين يتوجهون إليهم وإلى رفاتهم بإيمان يأخذون منفعة كبيرة. يعيد له في ١٦ آذار و٢١ حزيران.

الشهيد برلعام

ينتسب برلعام إلى أنطاكية، استشهد في أيام ديوقلديانوس. وكان قد وصل إلى عمر متقدِّم عندما قبض عليه ورمي في السجن، ولما رأى السجّانون بأيّة شجاعة تحمّل عذابات السجن قادوه نحو هيكل للأوثان، وهنا أُمر أن يمدَّ يده وكفُّه مبسوطةٌ نحو الأعلى وفي وسطها وضعوا فحماً مشتعلاً مع بخور، حتى يصل إلى مرحلة لا يستطيع فيها القدّيس احتمال النار فيدير كفّه بدون إرادته، وهكذا يسقط البخور على المذبح، على أن يُعتبر هذا ذبيحةً للأوثان. ولكن الهدف لم يتحقّق، لأنّ المسيح الحاضر هنا قوّى الشهيد ولم يتركه يُهزَمُ من طرق الشيطان

الشريرة. لأنّ شعلة المسيح الملتهبة في داخله لم تترك شعلة النار تؤثّر فيه.

والقدّيس يوحنا الذهبي الفم عندما ينهي مديحه، ينصح السامعين بالاقتداء بانتصارات الشهداء لكي تكون الأجرة بحسب الاقتداء.

في شهداء مصريين

إنّ مشاركة مصر في تحديد التعليم المسيحي والحياة وُجدت بدون أي شك كبيرة جداً. آباء كنيسة عظام كالقدّيس أثناسيوس الاسكندري وألكسندروس أسقف الاسكندرية وبطرس أسقف الاسكندرية وآخرون وضعوا طابعهم في الحياة، وليس فقط في الاسكندرية ولكن في كل الكنيسة. وهناك كما هو معروف ظهر وعمل مجاهدون عظام ومؤسّسو الإيمان المسيحي، كما القدّيس أنطونيوس، وباخوميوس إلخ. وبسبب هؤلاء صار جمهور المسيحيين المصريين يقبلون طعنات عميقة من قبل مضطهدي الإيمان، ولم يتأخروا عن تزيين الكنيسة بجمهور عظيم من الشهداء والنساء والأطفال. إنّه لمستحقّ التعجّب كلّ ما عاناه مجاهدو الإيمان هؤلاء. بعضهم دُفع إلى النار بعد شطبات في أجسادهم، وُضعوا في آلات. وعُذّبوا بالسياط وعدد من العذابات المريعة الأخرى، وآخرون رُمُوا في البحر، وآخرون سُلّمت رؤوسهم للشعب الهائج، وآخرون صُلبوا وبعضهم مات من الجوع. وقد عمّت نجاحات جهاداتهم في كلّ الدنيا مستدعين التعجب حتى يومنا هذا، ولكن في القديم بشكل أكبر.

هكذا القدّيس يوحنا الذهبي الفم، متّخذاً الحجة من العيد المقام لتذكار الشهداء المصريين، يدبّج هذا المديح الذي يثير العجب. وفيه لا يسمّيهم، ولكنّه يتحدّث بشكل عام عن القوّة التي أبداها هؤلاء الشهداء أمام العذابات، وعن الإكرامات التي يستحقّون أن يتمتّعوا بها في الحياة السماوية. ولا يغيب عن باله أن يوجّه نحو السامعين نصائحه حتى يبرمجوا حياتهم بنظرتهم المثبّتة نحو هؤلاء الشهداء المنيرين، مقلّدين خضوعهم والتزامهم في جهادهم.

في الأسقف ذويوذوروس

ولد ذويوذوروس في أنطاكية سنة ٣٣٠ من عائلة معروفة من عائلات طرسوس الكيليكيّة وتعلّم في أثينا العلوم الكلاسيكيّة. ولما عاد إلى موطنه تتلمذ على يد سلوانوس الطرسوسي وعند أفسافيوس الحمصي وعمل مع زميله فلافيانوس لكي يثير حماس الأرثوذكسيين.

مع كارتيريوس الفيلسوف استطاع أن يؤسّس أخوية رهبانية بالقرب من أنطاكية في المكان الشهير (المنسك) وجعلها مركزاً علميًّا مسيحيًّا. منها تخرَّج رجال مجيدون، مثل: يوحنا الذهبي الفم وثيوذوروس المبسواستي. ووقف بكل شجاعة في وجه محاولة يوليانوس إعادة إحياء عبادة الأوثان. جالباً عليه غضبه وكان قد انتمى لجماعة ملاتيوس وفي زمن الامبراطور والندس تحمل صعوبات كثيرة ونفي عدة مرات كما يبدو من كلام للقدّيس يوحنا الذهبي الفم في مديحه:

مرّات كثيرة نُفي من الوطن لأجل الإيمان

مرّات كثيرة قُطع رأسه لأجل السبب ذاته

ولكن ليس بالواقع بل بالاعتراف والاستعداد.

وفي أيام نفيه سنة ٣٧٢ هرب إلى أرمينيا بالقرب من ملاتيوس حيث تعرف إلى باسيليوس أسقف قيصرية. ولما عاد إلى أنطاكية، ولكن غير معروف متى داوم على عمله التعليمي، شرطن أسقفاً على طرسوس سنة ٣٧٨ من قبل البطريرك ملاتيوس بعد عودته النهائية إلى أنطاكية.

اشترك في المجمع المسكوني الثاني حيث عرفت ثقافته وتقواه لدرجة أنه عرف بأمر ثيودوسيوس الكبير أنه مع متروبوليت اللاذقية بيلاجيوس كمقياس الأرثوذكسية في إدارة المشرق.

لم يتوقف عن زيارة أنطاكية. وفي إحدى زياراته إليها، قام تلميذه آنذاك القدّيس يوحنا الذهبي الفم ونطق هذا الخطاب المدائحي. توفي سنة ٣٩٢.

وجد ذويوذوروس من الكتبة المكثرين. أعماله تختصّ في مواضيع العلوم الطبيعية. والنحو، والفلسفة، والدفاعية، واللاهوت المقارن والعقائد. ولكن نجا بعض الشذرات منها باللغة اليونانية.

في أولى الشهيدات تقلا المعادلة الرسل

يعود أصلها إلى مدينة ايقونيا. من عائلة غنية وارستقراطية. وفي سن الـ ١٨ خطبت إلى شاب اسمه تاميرس. ولما سمعت بولص معلماً في بيت أونيسيفوروس في ايقونيا حيث كان قد انتقل بولص، أُعجبت به كثيراً لدرجة أنّها فكّت خطبتها وتكرّست لتعليم بولص. فاشتكى خطيبها على بولص للوالي. وقام هذا بسجن بولص. عندئذ أخذت تقلا تزوره في السجن وكانت تسمع تعليمه. ولما صار هذا معروفاً عند الوالي اقتادوا الاثنين أمامه ولما جلد بولص طرد من ايقونيا. أما تقلا فقد رميت في النار ولكن من غير أن يحدث لها شيء وهكذا أُنقذت وذهبت مع بولص إلى أنطاكية. وفي أنطاكية عشقها الوالي الكسندروس

ولأنها لم تقبل اقتراحه أن تتزوج به أمسك بها في وسط الطريق وقبّلها، ولكنها إذ قاومت بشدة مزّقت له ثوبه الملكي. فأمر برميها للوحوش، ولكن الوحوش لم تقترب منها. ولما عانت من عذابات أخرى ولم يحصل لها شيء أُطلقت حرة. ولكن بعد أن التقت مع بولص في ميرا عادت إلى ايقونيا وعلّمت انجيل المسيح. وبعد ذلك ذهبت إلى سيلفيكية (معلولا) وسكنت في كهف عاشت فيه حتى صار عمرها تسعون عاماً. وصارت معروفة من الكل بفضل فضيلتها وعجائبها.

يعيّد لها في ٢٤ أيلول.

في خطابه هذا، يدبّج القدّيس يوحنا الذهبي الفم مديحاً حول الشهيدة العذراء تقلا، ولكن للأسف لم يصل الخطاب كلّه. وفقط مقدّمته. والتي منها يمكن بكل سهولة أن يتصوّر الإنسان المدائح التي نسجها لها.

في الشهيد في الكهنة فوقا

كان القدّيس فوقا ابناً لبمفيليوس وماريا الذين يعود أصلهما لمدينة سينوبي، ومنذ سن مبكرة حصل على نعمة الروح القدس لعمل العجائب. ولما صار أسقفاً قاد الكثيرين إلى نور معرفة الله بتعاليمه وعجائبه. تحمّل موتاً استشهادياً في أيام الامبراطور تراجان سنة ١٠١. فقد رمي في حمام ملتهب. وعمل عجائب كثيرة حتى بعد موته، يعيد لذكراه في ٢٢ أيلول. في كلمته هذه يثب القدّيس يوحنا الذهبي الفم فوق الذكرى ويمدح بشكل عام قوّة الشهداء وأن يكرموه، آخذاً في الحسبان أنّ الذي يكرّم شهيداً لا يزيد من إشعاعه ولكن هو ذاته يأخذ من الشهيد النور.

وبعد ذلك يشرح المزمور ١٤١. بصوتي نحو الرب صرخت، بصوتي نحو الرب تضرعت. وعلى أساسه يشعل حرباً ضد الهرطقات، ومبرهناً على المساواة بين الآب والابن بشهادات من الكتاب المقدس.

الشهيدة القدّيسة ذروسيذا

هذا الخطاب الذي هو الخطاب الأخير الذي ينشر للقدّيس يوحنا الذهب الفم في هذا الجزء، موضوعه إمرأة أخرى هي ذروسيذا. حيث هو واضح نفس الافتخار الذي يؤكد عليه في كل حالة يقول خطاباً في مديح نساء شهيدات.

غير معروف متى استشهدت ذروسيذا. فقد رميت في أتون مضطرم من حيث صعدت روحها نحو العريس السماوي، واقتيدت مزفوفة من قبل الملائكة. وجد يوحنا الذهبي الفم الفرصة أن يشدد على ما هو الموت المكرَّم. أنه موت القدّيسين. وأحقر موتٍ من موت الكلب هو موت الخطأة.

أيقونة أحد الأرثوذكسية
دير سيّدة البلمند

الأرشمندريت أندراوس مرقص - محمود الزيباوي

الأيقونة من الحجم المتوسط، طولها ٦٥ سم وعرضها ٤٧,٥ سم. وقّعها الرسّام وسجّل تاريخ إنجازها بالعربيّة على شريط مستقلّ في أسفل اللوحة، وفقاً للتقليد المحلّي المتبع. ما تبقى من هذه الكتابة يقول: «[أوقفها] الشماس نعمة الله... [الطرا]بلسي الشام على دير البلمند محروسة طرابلس. صورها العبد حنانيا ابن القس نعمة الله ابن الخوري [يوسف] سنة ١٧٢٢ للتجسد».

عنوان الأيقونة مدوّن في الأعلى باليونانيّة:
ΘΕΟΤΟΚΕ ΠΑΡΘΕΝΕ, ΠΑΣΑ ΤΩΝ ΟΡΘΟΔΟΞΩΝ

أي "أحد الأرثوذكسيّة". يتكوّن التأليف من مشهدين جَماعيّين في جزءين متوازنين.

في وسط الجزء الأسفل، يقف شيخان قدّيسان يرفعان أيقونة تمثّل المسيح الضابط الكلّ. خلفيّة هذه الأيقونة ذهبيّة، وعليها اسم المسيح المختصر باليونانيّة، وهي محاطة بإطار أحمر تزيّنه زخرفة ذهبيّة. يلبس القدّيسان لباس الرهبنة التقليدي مع الإسكيم، ويمسك كلٌّ منهما الأيقونة بيد، مشيرين إليها باليد الأخرى. ألوان الألبسة تجمع بين البني والزيتي الغامق، وقد شاء المصوّر أن يجعل الثوب الخارجي للواحد مثل الثوب الداخلي للآخر.

عن يمين أيقونة السيد، وإلى جوار حاملها، يقف ناسك يرتدي الإسكيم من دون جبة، وهو حافي القدمين وله لحية بيضاء طويلة. يرفع هذا الشيخ يمناه باتجاه أيقونة السيّد، ويمسك بيده اليسرى رقًّا مفتوحاً كُتب عليه باليونانيّة:
ΘΕΟΤΟΚΕ ΠΑΡΘΕΝΕ, ΠΑΣΑ ΤΩΝ ΟΡΘΟΔΟΞΩΝ

ومعناه: "عذراء، والدة الإله، وكلّ الأرثوذكسيّين».

على مقربة منه، تقف راهبة قدّيسة تحمل بيدها اليسرى رقاً مغلقاً، مشيرة بيمناها إلى أيقونة السيد في حركة مطابقة.

في الصف الخلفي، على يسار الراهبة، يقف راهب شيخ له لحية طويلة، ويظهر إلى جانبه راهب آخر لا نرى من ملامحه سوى جبهته وفمه والبعض من لحيته الطويلة.

في الجهة المقابلة، على يسار الراهب الذي يرفع أيقونة السيد، يقف أسقف قدّيس يبارك بيمناه، حاضناً بيسراه الكتاب المقدّس. يقف راهبان شيخان إلى جوار هذا الأسقف. يرفع الأوّل يسراه باتّجاه الأيقونة في حركة موازية، ويمسك الثاني بيده رقًّا

طويلاً كُتب عليه باليونانيّة جزءًا من طروباريّة أحد الأرثوذكسيّة:
ΤΗΝ ΑΧΡΑΝΤΟΝ ΕΙΚΟΝΑ ΣΟΥ
ΠΡΟΣΚΥΝΟΥΜΕΝ, ΑΓΑΘΕ, ΑΙΤΟΥΜΕΝΟΙ

"لصورتك الطاهرة نسجد أيّها الصالح ملتمسينَ (الصفح عن زلاّتِنا، أيها المسيحُ الإله)".

أما في الصف الخلفي، فهناك ثلاثة أشخاص آخرين تبدو هالاتهم وبعض من الجبهة واللحية.

في وسط القسم الأعلى من الأيقونة، يطلّ ملاكان من خلف أيقونة كبيرة تمثّل والدة الإله. يلبس كلّ من الملاكين ثوباً أبيض وحذاءً أحمر. على الطريقة البيزنطيّة المتوارثة، زُيّن هذا الثوب بقطع من القماش الذهبي حيكت حول العنق والوسط، وعند طرف الكفين، وفي الأسفل. ترتفع أيقونة السيّدة فوق ستار كحلي ينسدل خلف شمعدان ذهبي طويل يحتلّ النقطة المركزيّة في التأليف. نموذج الأيقونة تقليدي بامتياز، وهو نموذج "العذراء المرشدة". تحمل الأمّ ابنها على يدها اليسرى وتشير

إليها بيمناها. يقبض يسوع بيده اليسرى على رقّ مغلق، ويرفع ذراعه اليمنى مبارِكاً.

عن يمين الأيقونة، نرى امرأة ترتدي اللباس الامبراطوري البيزنطي، تقف منتصبة على وسادة حمراء، مشيرة بيمناها إلى أيقونة "والدة الإله". إلى جوارها، يقف فتى يرتدي حلّة مماثلة، رافعاً يمناه في نفس الاتجاه. تمسك الامبراطورة بيمناها صليباً أحمر اللون، ويمسك الفتى صولجاناً نحيلاً يشير إلى مقامه. لباس الملكة أحمر مطرّز بالذهب، ويتميّز بحلّة ذهبيّة تلتفّ حول الكتفين وتنسدل في الوسط من الأعلى إلى الأسفل حيث تلتفّ من جديد حول طرف الثوب، وهذه الحلّة خاصّة بالزي الامبراطوري البيزنطي. ثوب الفتى مشابه تماماً، ولونه أخضر زيتي. في الطرف الآخر، يظهر أسقف يعتمر التاج البطريركي، يقبض بيمناه على صليب أحمر مشابه لصليب الامبراطورة. تلفّ وجه هذا البطريرك وتساقط، لكن حلّته بقيت كاملة، وهي تتألّف من الصاكوس والأموفوريون والبطرشيل. الصاكوس أخضر مطعّم بالزخارف الذهبيّة، والأوموفوريون أبيض، تزيّنه ثلاثة صلبان سوداء. يجاور البطريرك أسقف يشابه نظيره في القسم الأسفل من الأيقونة، ويتألّف لباسه من أموفوريون طويل وأفلونيّة ليلكيّة واستيخارة تميل إلى الرمادي. وراء البطريرك والأسقف يقف قدّيسان آخران لا يظهر منهما سوى بعض ملامح الوجه، يمثّلان على الأرجح ناسكين شيخين.

تصوّر الأيقونة كما يشير عنوانها: "أحد الأرثوذكسية"، وهو الأحد الأوّل من الصوم، وفيه تحيي الكنيسة "تذكار رفع الأيقونات الموقّرة". نقرأ في كتاب "السواعي الكبير": "إنّ اضطهاد الملوك المحاربي الأيقونات السيّئي الاعتقاد، الذين كان أوّلهم لاون ايسفرس وآخرهم ثاوفيلس زوج القدّيسة ثاودورة، ضغط على كنيسة المسيح وأزعج راحتها أكثر من مائة سنة. إلاّ أنّ ثاودرة الملكة السعيدة الذكر شيّدت المعتقد القويم بعد وفاة زوجها ووطّدته، وذلك سنة ٨٤٢. فإنّها قبّلت هي أوّلاً أيقونة والدة الإله أمام مثوذيوس البطريرك وكثيرين من الرجال الأبرار والمعترفين الأتقياء، صارخة بصوت جهير وقائلة: إن كان أحد لا يسجد لها ولا يقبّلها عن شوق سجود وتقبيل إكرام ينتمي إلى عناصرها الأصليّة، لا سجود وتقبيل عبادة، معتبراً إيّاها أيقونات تُشخّص عناصرها الأصليّة لا آلهة، فليكن أناثيما. ثمّ تضرّعت إلى الله طالبة لزوجها المغفرة بمواصلة صوم وابتهال عامين في مسافة الأسبوع الأوّل من الصيام الكبير برمته. ثم في الأحد الواقع في مثل هذا اليوم بعد ما قدّمت هي وابنها القيصر ميخائيل وكلّ الإكليروس والشعب الصلوات والطلبات المفروضة، علّقت الأيقونات المقدّسة، مزيّنة بها كنيسة المسيح كالسابق. فتذكاراً لهذا العمل المقدّس نعيّد اليوم نحن الأرثوذكسيّين جميعاً، ونسمّي هذا اليوم البهيج الجليل أحد استقامة الرأي"[١].

لا تحمل الأيقونة الحلبيّة أسماء القدّيسين الحاضرين فيها، لكنّ هذه الأسماء مدوّنة في النموذج البيزنطي الأصلي الذي تتبعه، ممّا يسمح لنا بتحديد هويّة هؤلاء القدّيسين بشكل جليّ.

في القسم الأعلى، عن يمين أيقونة العذراء المرشدة، يقف: "ثاودرة الملكة السعيدة الذكر" و"ابنها القيصر ميخائيل". ويقابلهما في الطرف الآخر البطريرك مثوذيوس، ويجاوره ثاوفيلكتس المعترف أسقف نيقوديمية.

يُقام تذكار الملكة ثاودرة في الحادي عشر من شهر شباط. يخبرنا كتاب السواعي أنّها "جمّلت تاج الملك بالفضيلة وحسن العبادة"، وأدارت الحكم "بحكمة عظيمة خمس عشرة سنة إذ كان ابنها ميخائيل صغير السن"، "وفي سنة ٨٥٧ تركت بلاط المملكة ودخلت ديراً للعذارى"، "وهناك قضت بقية حياتها بالبر إلى أن توفيت بسلام"[٢].

أمّا البطريرك مثوذيوس، فتذكاره في الرابع من شهر حزيران، وهو من كبار مناصري الأيقونات. تعرّض للنفي والأسر، و"لما نالت الكنيسة الحريّة في عهد الملكة ثاودورة أخرج هو أيضا من سجنه"، وبات رئيس أساقفة القسطنطينيّة في سنة ٨٤٢، وتوفي بعد أربع سنوات، "وهو الساعي إلى رفع الأيقونات المقدّسة في الكنائس"[٣].

يبقى ثاوفيلكتس أسقف نيقوديمية، وتذكاره في الثامن من آذار، وقد «نفاه لاون الأرمني لأجل السجود للأيقونات المقدّسة، ثم توفي سنة ٧٣٢»[٤]. في وسط الصورة، يرفع الملاكان أيقونة والدة الإله التي تختصّ هنا بسرّ التجسد، وهذا السرّ هو الذي يبيح تصوير الابن، كما يؤكّد قنداق العيد: «إنّ كلمة الآب غير المحصور، صار محصورًا بتجسّده منك يا والدة الإله، وأعاد صورتَنا المتدنّسة إلى جمالها الأوّل، وأقرنها بالجمال الإلهي. لذلك نعترف بالخلاص ونذيع به بالقول والفعل معًا»[٥].

يصوّر الجزء الأسفل الأحداث التي سبقت "أحد الأرثوذكسيّة" وهيّأت له. يرفع أيقونة المسيح قدّيسان راهبان، هما: ثاوفانس المعترف السنغرياني وثاودوروس الاسطوديتي المعترف. يقف

١ تذكار تعليق الأيقونات الموقرة في الأحد الأول من الصوم، السواعي الكبير، بيروت، ١٩٦٥، ٤٧٨-٤٧٩.
٢ السواعي الكبير، ٣٥٣.
٣ السواعي الكبير، ٤١١-٤١٢.
٤ السواعي الكبير، ٣٦٨.
٥ السواعي الكبير، ٤٧٩.

الأوّل عن يمين الأيقونة، ويقف الثاني في الطرف الآخر. يقام تذكار ثاوفنس في الحادي عشر من آذار، وهو من كبار مناصري الصور المقدّسة. دُعي في سنة ٧٨٧ إلى مجمع نيقية الثاني الذي التأم دفاعاً عن الأيقونات، و"أدهش الحاضرين بعمق معرفته بتراث الآباء القدّيسين"[٦]. ولما باشر الامبراطور لاون الأمني حملة جديدة على الأيقونات عام ٨١٥، حاول كسبه إلى حزبه، فواجهه بحزم، وتعرّض للسجن والضرب، ثم نُفي إلى جزيرة ساموترافيا حيث أسلم الروح في سنة ٨١٧ أو ٨١٨، ونقلت رفاته إلى ديره في «الحقل الكبير» في عام ٨٢٢.

أمّا ثاودوروس الاسطوديتي، فتذكاره في الحادي عشر من شهر تشرين الثاني، وهو أعظم لاهوتيي الأيقونة بعد يوحنا الدمشقي. "جاهد من أجل إكرام الصور المقدّسة حتى الموت، وكابد النفي ثلاث مرات لأجل غيرته هذه الناشئة عن حسن العبادة"[٧]. تعرّض لأشدّ أنواع التعذيب، واستمرّ في نضاله حتى وفاته في عام ٨٢٦ عن سبع وستين سنة.

عن يمين ثاوفانس المعترف، يقف شيخ ناسك وراهبة، هما: يوانيكيسوس الكبير وثاودوسيا القسطنطينيّة.

يقام تذكار يوانيكيوس في الرابع من تشرين الثاني، وهو من الذين دعوا إلى إكرام الأيقونات، "وكانت تربطه بالبطريرك مثوديوس القسطنطيني صداقة عميقة"[٨].

أمّا ثاودوسيا القسطنطينيّة، فتذكارها في التاسع والعشرين من أيار، وهي من الذين استشهدوا في دفاعهم عن الصور المقدّسة، كما يشير القنداق: «إنّكِ بأوجاعك ورثت الحياة التي لا وجع فيها. وبدمائك خنقت لاون الدنس عدو كنيسة المسيح يا كلية المديح»[٩].

على يسار ثاودوروس الاسطوديتي، يقف أسقف وراهبان شيخان. بحسب الروايات التاريخيّة، «تصدّى نقيفوروس بطريرك القسطنطينيّة لحملة لاون الأرمني، وجمع في عام ٨١٥ عدداً من المطارنة ورؤساء الأديرة لهذه الغاية»، ومن بينهم القدّيسون: أفتيميوس سرديس، أمليانو سيزيك، يوسف التسالونيكي، افدوكسيوس العموري، وميخائيل السينادي وثيوفيلكتوس النيقوميذي»[١٠] (سنكسار، ٣، الثامن من آذار، ص ٢٤٨). يمثل الأشخاصَ الحاضرين إلى جانب ثاودوروس الاسطوديتي ثلاثةٌ من هؤلاء القدّيسين، لكنّ غياب الأسماء يحول دون تحديد هويّتهم.

تحتلّ أيقونة المسيح الضابط الكل وسط التأليف في هذا الجزء من الأيقونة، ويقابلها في الخدمة طروبارية العيد: «لصورتك الطاهرة نسجد أيها الصالح، مستمدّين مغفرة الخطايا أيّها المسيح إلهنا، لأن بمشيئتك سررت أن تصعد بالجسد على الصليب، لتنجّي الذين خلقتَ من عبودية العدوّ، فلذلك نهتف اليك بشكر: لقد ملأتَ الكلّ فرحاً يا مخلّصنا إذ أتيتَ لتخلّص العالم»[١١].

---

[٦] الأرشمندريت الراهب توما بيطار، سير القدّيسين وسائر الأعياد في الكنيسة الأرثوذكسية (السنكسار) ٣، دير القدّيس سلوان الآثوسي، دوما، ١٩٩٩، ٢٧٠.

[٧] السواعي الكبير، ٢٦٣.

[٨] الأرشمندريت الراهب توما بيطار، سير القدّيسين وسائر الأعياد في الكنيسة الأرثوذكسية (السنكسار) ١، دير القدّيس سلوان الآثوسي، دوما، ١٩٩٢، ٣٠٠.

[٩] تذكار القدّيسة الشهيدة ثاودوسيا، قنداق في صلاة السحر، ميناون ٣، ٦٥.

[١٠] الأرشمندريت الراهب توما بيطار، سير القدّيسين وسائر الأعياد في الكنيسة الأرثوذكسية (السنكسار) ٣، ٢٤٨.

[١١] السواعي الكبير، ٤٧٩.

دراسة برسم الشباب والأهل وأهل التربية والإعلام

تأثير وسائل الاعلام على الأطفال والشبّان الأميركيين
ماذا عن لبنان والعالم العربي ؟

بسام طبشوري

مقدِّمة:

تُوفِّر وسائل الاعلام التسلية، الثقافة، الأخبار، والتربية. وهي تشكِّل جزءاً مهمّاً من حياتنا ومن تعليمنا. فالوقت الذي يصرفه الأولاد والشباب عبر وسائل الاعلام لاكتشاف أمور الحياة هو أكثر بكثير من أية وسيلة أخرى. فهم يقضون أوقاتاً كثيرة في مشاهدة التلفزيون أو استخدام الإنترنت (حوالي خمسة ساعات يومياً بحسب دراسة أميركية في عام ١٩٩٩).

باستطاعتنا أحياناً أن نرى فوراً تأثير وسائل الاعلام، ففي ظرف ثوان يقوم معظم الأطفال بتقليد شخصية تلفزيونية أو بغناء كلمات عادية أو بإعطاء أمثلة عمّا تعلّموه من وسائل الاعلام. والأمر المُحزن أنّ هذه الأمثلة تتضمّن تسمية صنف سجائر أو القيام بألعاب قتاليّة أو تقليد أوضاع مثيرة. ولكن في معظم الأحيان فإن التأثيرات لا تظهر مباشرة أو بوضوح. هكذا، فإن بعض ما يتعلمه الطفل من وسائل الإعلام ليس ما نرغب به. والطفل أيضاً لا يميّز بوضوح الفرق بين العالم الحقيقي وعالم الخيال الذي تقدّمه وسائل الاعلام من تلفزيون وألعاب فيديو والانترنت والأغنية المصوّرة وحتى لوحات الاعلانات.

إنّ لوسائل الاعلام تأثيرات عديدة منها:

- الأداء السيِّئ في المدرسة
- عادة ضرب أو تدفيش بقية الأولاد
- التكلم مع الكبار بعدائيّة
- كوابيس ليلية
- ازدياد تناول المأكولات الضارّة أو غير الصحيّة
- التدخين، شُرب الكحول واستعمال المخدرات.

انتبهوا لهذه الاشارات ولما يتعرّض له أولادكم. فمثلما تريدون أن يتناول أولادكم المأكولات الصحية فقط لتنمو أجسادهم بشكل سليم، كذلك فانكم تريدون أن يحصل أولادكم من وسائل الاعلام على الرسائل الصحية الضرورية لنموّ عقولهم ونفوسهم.

التلفزيون

*الوقت الذي يقضيه الأولاد امام الشاشة الصغيرة

إن الوقت الذي يصرفه الأولاد في مشاهدة التلفزيون هو أكثر من أي نشاط يقومون به باستثناء النوم. فبحسب دراسة أجريت عام ٢٠٠٠ صرف الأولاد/ الشباب الأميركي عام ١٩٩٣ حوالي ٩٠٠ ساعة في الدراسة مقابل حوالي/ ١٠٢٣/ ساعة أمام التلفزيون في العام ٢٠٠٠. وبحسب دراسة أخرى عام ٢٠٠٠ فإن الأولاد الأميركيين (الذين تبلغ أعمارهم بين ٢- ١٧ سنة) يُشاهدون التلفزيون حوالي ٢٥ ساعة أسبوعيًّا (وفي دراسة أخرى ٢٨ ساعة أسبوعيًّا).

العُنف التلفزيوني

في العام ٢٠٠٣ أظهرت دراسة حول العنف التلفزيوني أن ٢ من ٣ من البرامج التلفزيونية تحتوي على مشاهد عُنف ويبلغ معدلها حوالي ٦ مشاهد في الساعة. أما برامج الرسوم المتحركة للأولاد فهي أكثر عنفاً من برامج الكبار: حوالي ٨٠ مشهد عنف في الساعة.

وبحسب دراسة مماثلة عام ١٩٩٦، فإن أكثر البرامج تحتوي

على العنف. والمزعج في الأمر أنه في ٧٣ ٪ من هذه المشاهد، لم يُردع المُعتدي ولمْ يُعاقب عن عمله. بينما يجب في هذه البرامج أن يُعاقب القائم بالعنف لردع وتخفيف التصرّف العنيف عند المشاهدين اليافعين.

عندما يُكمل الطفل الدراسة الابتدائية فانه يكون قد شاهد مئة ألف مشهد عنف على التلفزيون وبحلول عمر الثمانية عشر، فانه يكون قد شاهـد مئتي ألف مشهد عنف وستة عشر ألف جريمة قتل.

إن شـركات الإنتاج والتوزيع يجب ألاّ يُسمـح لها أن تُبـرِّر ما تعرضه بأنها "تقدم للجمهور ما يرغب به.»

فبحسب دراسة للجمعية الطبية الأميركية، فان ثلثي الراشدين و٧٥ ٪ من الراشـدين الذين عندهم أولاد، إما غادروا قاعات السينما أو قاموا بإطفاء جهاز التلفزيون عندما كانت المشاهد المعروضة عنيفة جداً.

تأثير مشاهد العنف في التلفزيون

إن الأولاد/الأطفال الذين يشاهدون الأخبار يبالغون في تقدير نسبة الجرائم وبالتالي فانهم يظنون أن العالم هو مكان أخطر بكثير مما هو في الواقع. ان تجاهل نتائج العنف (بما فيه آلام الضحايا وعائلاتهم وعائلات المعتدين) أو إظهار نتائج غير معقولة يؤدي إلى انطباعات هدّامة عند المشاهدين. فهم يصبحون أقلّ خوفاً وأقـلّ إحساساً، وبالتالي تلتصق شخصيتهم بشخصية الممثل العدواني وفي طريقة معالجته العدوانية والعنيفة للمشاكل المختلفة. هكذا، فالتصرفات والمواقف العنيفة تنطبع في نفسية الأولاد ويصبح العنف مُرجَّحاً كحلّ يتبعه الولد في تصرّفاته الشخصية.

إن الأولاد الذين يتعرّضون لسيل من مشاهد إطلاق النار والتفجيرات والاغتصاب يصبحون بلا إحساس أمام هكذا مشاهد عنف وتصبح هذه التصرفات ردود فعل مقبولة لضغوط الحياة. ويصبح العنف هو الحل للمشاكل والنزاعات بدلاً من ضبط النفس.

أجريت أبحاث لدعم النظرية أن الأفكار والتصرفات العنيفة تزداد بعد أن يشاهد الانسان مشاهد عنيفة في التلفزيون أو السينما أو في ألعـاب الفيديو أو عند سماعه موسيقى عنيفة. واستندت هذه الدراسة إلى أنّ الطفل يتعلّم من تقليد ما يشاهـد. ففي حين ان بعض الأطفال يستطيعـون التمييز بين الواقع والخيال، فالبعض الآخر لا يستطيع ذلك. والأطفال/ الأولاد يبنون مواقفهم من العنف في عُمر مبكر وهذه المواقف تبقى معهم عندما يكبرون. ومع أن تأثير العنف التلفزيوني دُرِسَ أكثر من غيره، فإن الباحثيـن يجدون أن تأثير العنف عبر الوسائل الاعلامية الأخرى مضر أيضاً وبالطريقة عينـها. إن المرحلة الحرجة لترك أذى دائم في الانسان تبدأ حتى من عمـر ١٤ شهراً.

إن مدى تعرض الطفل للعنف في وسائل الاعلام يُنبئنـا بشكل دقيق عن تصرفه العدواني عندما يكبـر وهذا بغض النظر عن مستوى ذكاء الطفل أو تربيته أو وضع أهله الاجتماعي. لقد حُسِمَ الجَدلْ ، فخلال الثلاثين سنة المنصرمة ، الأمر الأساسي الذي أظهرته الأبحاث عن تأثير وسائل الاعلام، هو ان مشاهد العنف تزيد عدوانية الأطفال. "إن مـدى التعرض لمشاهد العنف يرتبط مباشرة وبشكل قوي بالتصرف العدواني". ومع أن تأثيرات وسائل الاعلام على الأطفال/ الأولاد قد لا تظهر مباشرة فإنهم يتأثرون بها سلباً. وبعضهم قد لا يتصرف بطريقة عنيفة قبل بلوغه سن المراهقة أو الشباب.

منذ العام ١٩٥٠، أجريت أكثر من ٣٥٠٠ دراسة في الولايات المتحدة الأميركية وبقية العالم لدراسة تأثير العنف في وسائل الاعلام على تصرفات الانسان. وباستثنـاء ١٨ دراسة أكّـدت كل الدراسات الأخرى وجود تأثير.

إحدى هذه الدراسات بدأت عام ١٩٦٠ على أطفال وأظهرت أن الذين شاهدوا مستوى أعلى من العدوانيّة في عمر الثماني سنوات صار عندهم سجل في أعمال العنف في سن التاسعة عشرة وأصبحوا عنيفيـن مع أولادهم وارتكبوا جرائم عنيفة عند بلوغهم سن الثلاثين. إن تأثيرات التعرض لوسائل الاعلام تتراكم مع الوقت وتؤدي إلى تصرفات لا تتغير مع الوقت.

التلفزيون والكحول والتبغ

إن الرسائل عن التبغ والكحول موجودة في كل وسائل الاعلام. فمثلاً ٢٥ ٪ من أفلام الفيديو على شاشات الـ م تي ڤـي (MTV) تحتوي على التبغ والكحول. إضافة إلى ذلك فإنّ الإعلانات والأفلام ترسل رسائل للأطفال مفادها أن التدخيـن والكحول تجعل الانسان مثيراً أو مرغوباً به وان "الكل يقومون بهذا الأمر". والدعايات تـدفع المراهقين للتدخين وشرب الكحول. ولقد أظهرت الدراسات ان ارتفاع معدلات مشاهدة التلفزيون تؤدي إلى ارتفاع استهلاك الكحول والتبغ وممارسة الجنس في عمر مبكّر.

إنها ليستْ صدفة أن أكثر أنواع السجائر شعبية واستهلاكاً عند المراهقين، هي التي تدفع الأكثر للاعلانات. إن أصحاب الاعلانات عن التبغ والكحول يغفلون عن قصد ذكر التأثيرات السلبية لهذه المنتوجـات. وبالتالي، فان الشباب لا يعرفون في أكثر الأحيان الأخطار الصحية لاستهلاك الدخان والكحول.

التلفزيون والمأكولات الدسمة والأجساد النحيفة

من جهة أخرى، تروِّج وسائل الاعلام بشدّة مأكولات غير

صحيّة، وفي نفس الوقت تنصح اليافعين بأن ينتبهوا لزيادة وزنهم ويبقوا نحيفين. فالفتيات في كل الأعمار بحسب الدراسات تهتم بوزنها. ولكن في أغلب الأحيان الأشخاص النحيفين – أصحاب الأجساد المنحوتة (على الشاشة أو في الصُّور) – ليسوا حقيقيّـن بل صُور مركّبة من عدة أشخاص بواسطة تقنيات سينمائية وبواسطة الكومبيوتر.

تأثير التلفزيون على الدراسة

إن تأثير التلفزيون على القراءة والمهارات الدراسية الأخرى لا يعتمد فقط على كمية الوقت الذي يقضيه الطفل أمام التلفزيون ، بل أيضاً على عمر الطفل وماذا يُشاهد.

فالأولاد الذين يشاهدون التلفزيون على الأقل عشرة ساعات أسبوعياً ينخفض أداءهم بنفس النسبة للوقت الذي يقضونه أمام الشاشة.

وكذلك أظهرت دراسات أنه بالنسبة للصِّغار الذين لم يذهبوا بعد إلى المدرسة والذين يشاهدون برامج ثقافية مخصصة لهم، مثل: (Sesame Street)، فإن مهاراتهم في القراءة أفضل من الأطفال الذين لم يشاهدوا هكذا برامج. أمّا الأطفال الذين يشاهدون في هذه المرحلة فقط أفلام للتسلية مثل الرسوم المتحركة، فان مهاراتهم في القراءة أضعف من الباقين. وباختصار، التلفزيون يأخذ من الوقت الذي يستعمله الولد عادة للقراءة مما يُعيق تطويره لها.

اما بالنسبة لبقية الأعمار، فإن الدراسات أظهرت أن التلاميذ يقضون وقتاً أمام التلفزيون أكثر بأربع مرات مما يقضونه في القيام بفروضهم المدرسية. والتلاميذ الذين يقضون أكثر من ٣ ساعات يومياً أمام التلفزيون خسروا كثيراً من قدرتهم على التركيز في القراءة. وأظهرت دراسات أخرى أن اضاءة التلفزيون (أو الموسيقى) بقرب التلميذ أثناء الدراسة والفروض المنزلية يُشوِّش على التركيز والحفظ.

وفي دراسة أجريت على مدى سنوات على تلاميذ الصفوف العليا في المدارس ظهر بوضوح أن التلاميذ الذين شاهدوا برامج تربويّة بنَّـاءَة قبل دخولهم المدرسة حصلوا على علامات أعلى وعلى قدرات جيدة في القراءة، وكانوا أقلّ عنفاً في التعاطي مع الآخرين وأكثر اهتماماً بدروسهم من اهتمامهم بأمور أخرى.

تأثير التلفزيون على الصحة

• هنالك ارتباط مباشر بين التلفزيون والبدانة عند الأطفال. "ان الرصاصة عندما تصيب الجسد تؤدي إلى مشكلة صحية. والأولاد الذين يشاهدون التلفزيون لأوقات طويلة يزداد وزنهم ، فالبدانـة أيضاً مشكلة صحية".

• بعض التأثيرات الأخرى للتعرّض المفرط لوسائل الاعلام: ازدياد التصرف العنيف، تراجع النشاط الجسدي واللياقة البدنية، ارتفاع الكوليسترول في الدم، ازدياد تناول الملح، أوجاع جسدية مرتبطة باستعمال الكومبيوتر وألعـاب الفيديو، قلة النوم، نوبات صرع، أداء مدرسي سيِّئ، عدم القدرة على التركيز لوقت طويل، قلة الاحساس، قلة الكلام، عدم التعاطي مع العائلة والأقربـاء، واستهلاك ومُتطلّبات أكثر.

الإنتـرنت

« أريد حقاً أن أذهب إلى القطب المتجمِّـد الجنوبي، كل ما أريد هو هِرتي واتصال بواسطة شبكة الانترنت" (طالب عمره ١٦ سنة عام ١٩٩٥).

يستعمل الشباب الإنترنت حوالي الثماني عشرة ساعة أسبوعيًّا، وهذا غير وقت البريد الالكتروني والـ Instant Messaging (إرسال رسائل الكترونية فوْريّة)، إنّ الانترنت شبكة عالمية لا تتقيـد بأية دولة أو مؤسسة. هذا الفراغ يلغي الضوابط على المعلومات التي تصل للفرد ولا أحد يملك هذه الشبكة مما يُلغي مسؤولية أي انسان عما يحصل على هذه الشبكة.

إنّ مدخول تجارة الجنس على الانترنت في أميركا بلغ مليار دولار عام ٢٠٠٢ وسيبلغ بين ٥ و ٧ مليار دولار أميركي عام ٢٠٠٧ (ما لم توضع ضوابط).

إنّ المشاهد الجنسيّة على شبكة الانترنت تقوم بإفساد الأطفال وتؤدّي إلى إدمان الكبار وتهدّد بفقدانهم أعمالهم وعائلاتهم (بحسب سيناتور أميركي)، وبحسب باحِثة في جامعة بنسلفانيا، فإنّ تأثير المشاهد الجنسية أو الخلاعية (Porno) على الدماغ هو تماماً مثل تأثير الهيروين أو الكوكايين أو بقية المخدّرات. وذكرت حالة مدير أعمال والذي يصل كل يوم إلى عمله الساعة ٠٠ :٩ صباحاً بعد أن يكون بقي أمام شاشة الكومبيوتر للساعة الخامسة صباحاً يُشاهد مواداً خلاعيّـة (Porno).

الموسيقى

• أفادَ "مركز مصادر الأهل للموسيقى»(Parents Music Resource Center) إنّ المراهق الأميركي يستمع إلى حوالي ١٠،٥٠٠ ساعة موسيقى صاخِبة(Rock) بين الصف التكميلي الأول والثانوي الثاني، (أي أقلّ بخمسة مئة ساعة فقط من مُجمل وقت الدراسة في المدرسة).

• بحسب الدارسين، فان ١٠ فقط من ٤٠ قُرص مُدمَّج (CD) من الأغاني الأكثر شعبيّة عام ١٩٩٥ لم تحتو على كلمات بذيئة أو تذكر تعاطي المخدّرات والجنس والعنف.

• في دراسة أخرى ، ظهر أن الأهل لا يعرفون ما هي الكلمات التي تستعمل في الأغاني.

• في أيلول عام ١٩٩٥ رضخت شركة "وارنـر" لضغوط الرأي

العام وأعلنت أنها ستتخلى عن دعم شركة اسطوانات تسوِّق موسيقى الـراب لفريق: Nine Inch Nails وفريق Snoopy Doggy Dog ، فما كان من هؤلاء الفنّانين إلاّ أن لجأوا إلى شركة توزيع أخرى، وبالتالي بقيت أغانيهم التي تمجِّد السلاح والاغتصاب والقتل في المراكز الأولى.

وأظهرت دراسات عدّة أن تفضيل الموسيقى المعدنية القاسية هو مُؤشِّر مهمّ للانحراف واستخدام المخدرات والاضطرابات النفسيّة والميل للانتحار والفلتان الجنسي والتصرّف الخطر عند الشباب خلال سنوات المراهقة.

إن المراهقين الذين يشاهدون الـ MTV (أم تي في) يفيدون أن هذا يساعد على فهم الأغنيات وحفظها ولكن أكثر من ٧٥ ٪ مما يشاهده هو مجبول بالجنس وبصور مشوّهة للذكر والأنثى.

فتلفزيون الـ MTV ينقل صور جنسية للنساء من خلال "لقطات سريعة من اللذات النظرية» لتشجيع المشاهدين على التركيز والمشاهدة عن كثب.

وأظهرت إحدى الدراسات أن منع مشاهدة الـ MTV أدّى إلى خفض مستوى العنف عند المراهقين والبالغين الذين كانوا يتلقون العلاج في إحدى المراكز الطبية للتأهيل.

ألعاب الفيديو

يبلغ مدخول تجاره الألعاب حوالي عشرة مليارات دولار أميركي سنوياً أي أكثر من التلفزيونات وأفلام السينما، وهذا الرقم يزداد سنوياً. إن عالم الخيال أو العنف البشري هو أكثر أنواع الألعاب المرغوبة، مثلاً: اختار ٥٠ ٪ من طلاّب الصف الرابع ابتدائي لعبة فيديو: "مَـنْ يُطلِق النار أولاً"، بينما يقضي تلميذ الأول تكميلي حوالي الأربع ساعات أسبوعياً على ألعاب فيديو.

وفي الأشهر الثلاثة الأولى لإنزالها إلى الأسواق بيعَ من لعبة الفيديو: Grand Theft Auto: Vice City (سيارة السرقة الفخمة: مدينة الرذيلة) أكثر من ٤، ٤ مليون لعبة. وفي هذه اللعبة على اللاعبين أن يحتكّوا بمُومسـات ويمارسوا الجنس معهنّ ويضربونهنّ حتى الموت كيْ لا يدفعوا لهنّ مقابل خدماتهنّ الجنسية.

تأثير ألعاب الفيديو والعنف

إن أكثر من نصف الأولاد في الصفوف التكميلية والثانوية يلعبون ألعاب الفيديو لوحدهم، وهذا الأمر يشجِّع على تنمية ميول الانعزال عن العائلة والمجتمع. إن الأبحاث أظهرت أن الألعاب التي يتفاعل معها الشخص (ألعاب فيديو وكومبيوتر) هي أكثر فعالية وتأثيراً لجهة التصرف العنيف من وسائل الاعلام الأخرى كالتلفزيون والسينما. فالأطفال المراهقين بعد ممارستهم ألعاب الفيديو العنيفة يصبحون بلا إحساس تجاه العنف وتزداد عندهم الأفكار والتصرفات العنيفة تجاه الآخرين.

أظهرت الأبحاث التي استهدفت البرهنة على ان مشاهدة العنف في وسائل الاعلام تُنفِّس الاحتقان ومشاعر العداء والتصرف العنيف عكس ذلك. فلقد ازداد العنف عند الأشخاص الذين شاهدوا أعمال العنف في وسائل الاعلام.

ولعلّ التأثير الأشدّ فعالية للعنف في وسائل الاعلام هو أنها تفقد الإنسان الشعور بسوء من جرّاء أعمال العنف الحقيقية وتأثيرها على الضحايا. فكلما، كان العنف قريباً من الواقع وهزلياً أو مُحبَّبَاً، فكلما خسر الإنسان من شعوره تجاه أعمال العنف. إن بعض ألعاب الفيديو تعطي اللاعب علامات أكثر كلما قتل أشخاص كثر وبعض هذه الألعاب أصبح أكثر واقعية من جهة تصوير مشاهد للدماء وللأعضاء المبتورة.

أظهرت الدراسات أنه بعد ممارسة ألعاب الفيديو يقلّ الحسّ الاجتماعي عند الشباب وحب مساعدة الآخرين اضافة إلى زيادة ٤٣ ٪ في الأفكار العدوانية و ١٧ ٪ في ردود الفعل العنيفة.

وبحسب دراسات أخرى، فان ألعاب الفيديو مسؤولة مباشرة بنسبة تتراوح بين ١٣ ٪ و ٢٢ ٪ عن التصرفات العنيفة عند الشباب مقابل ١٤ ٪ للإصابة بسرطان الرئـة نتيجة التدخين.

إن ألعاب الفيديو هي البيئة الملائمة والفضلى ليتعلم الانسان العُنف. فهي تضع اللاعب في موضع المُعتدي وتكافئه على تصرفه العنيف وبدلاً من أن يكون متفرّجاً فهي تسمح للاعب أن يمارس أعمالاً مختلفة تتراوح بين الاستفزاز إلى الردّ العنيف في مواقف الخلاف ، وهذا أكثر فعالية لتعلم هكذا طريقة تصرف. إن ألعاب الفيديو تغرق الطفل وتتحوّل إلى نوع من الادمان لديْه، بحيث أن الأولاد يريدون أن يلعبوا لفترات طويلة لتحسين أداءهم، وهذا التكرار يزيد من تعلم الأمور السيئة.

التوصيات

إنّ التعرض لوسائل الاعلام غالباً ما يتمّ في المنزل عندما يكون الأولاد في سن صغيرة، وبالتالي يستطيع الأهل أن يساعدوا أولادهم في استعمال وسائل الاعلام بطريقة أفضل بالأمور التالية:

(١) وضع خطة بحيث يُبرمج الأهل أوقات التعاطي مع وسائل الاعلام ويختارون المواد والبرامج التي سيتعاطون معها تماماً مثلما يُخطط الانسان لأي عمل آخر. هذا يساعد كل فرد على اختيـار واستعمال هذه الوسائل بعناية.

(٢) تحديد مدة التعاطي مع الاعلام. يجب تحديد الوقت الذي يقضيه الأطفال أمام الشاشة من تلفزيون وفيديو وألعاب فيديو وكومبيوتر وإنترنت. إن جمعية أطباء الأطفال الأميركية (The American Academy of Pediatrics) لا تنصح بأكثر من ساعة إلى ساعتين يومياً (لمواد ذات نوعية جيدة) للأولاد حتى عمر الثماني عشرة سنة وتمنع تعريض الأطفال دون السنتين لوسائل الاعلام المذكورة أعلاه.

(٣) تحديد الوقت والظروف. لا يجب السماح لأيّ من النشاطات أعلاه قبل إنهاء الدروس والفروض كما يمنع إتمام الفروض والدروس مع الاستماع إلى الراديو، الموسيقى أو اضاءة جهاز التلفزيون أو الكومبيوتر.

(٤) وضع توجيهات للأسرة حول مضمون البرامج والألعاب. سـاعِد الأطفال والمرهقين في اختيار البرامج وأفلام الفيديو المناسبة لأعمارهم واهتماماتهم. يجب على الأقل أن يتأكّدوا من أن ما يشاهده الأولاد هو مناسب لعمرهم وذلك عن طريق الفحص والتأكّد من تصنيف هذه البرامج. إن معرفة محتوى البرامج وأفلام الفيديو وافلام السينما ومواقع الانترنت أمر يجب أن يقوم به الأهل قبل أن يسمحوا للأولاد بمشاهدتها مع إعطائهم السبب للموافقة أو المنع. يجب أن يكون الأهل واضحين وثابتين في اتباع قواعد التعاطي مع وسائل الاعلام. ويجب على الأهل أن يُنمُّـوا عادات صحية وصحيحة لمشاهدة التلفزيون عند الأولاد قبل دخولهم المدرسة. يجب حصر مشاهدة التلفزيون بالبرامج التعليمية والتثقيفية. إذا كان عند المراهقين جهاز تلفزيون أو كومبيوتر في غرفة النوم (والأفضل ألاّ يكون) يجب مراقبة ما يُشاهِدون على مواقع الإنترنت التي يزورونها.

(٥) يجب جعل التعاطي مع الإعلام نشاطاً عائلياً. فهذه الوسائل تتيح الفرص لمناقشـة أمور مهمّة مع الأولاد. فعلى قدر الإمكان يجب استعمال وسائل الاعلام مع الأولاد ومناقشة ما شاهدوه أو سمعوه أو قرأوه. وعندما يشارك الأهل هذا الأمر مع الأولاد فإنهم يساعدونهم على تحليل، ومساءلة وتحدّي ما تعرّضوا له مقارنة مع قيم عائلاتهم.

*حاول ألاّ تسمح أن يُشاهد الأولاد مشاهد عنف أو مواد تثير الحفيظة. وخلال النشاطات التي تحتوي على مواد إعلامية ساعد الأولاد على استرجاع ومساءلة ومناقشة ما شاهدوه.

*إفعل هذا الأمر لدى عرض مشاهد عُنف أو لدى عرض إعلانات لمواد غير صحية.

*إنّ نقد وتحليـل المواد الإعلامية يبني المهارات التي يحتاجها الإنسان عند تعرّضه لدعايات استهلاكية.

*ناقِش مع أولادك مدى ملاءمة الرسائل الاعلامية للقِيَمْ التي تربِّيهم عليها.

*أظهر نتائج أعمال العُنف بقولك مثلاً: "مع أن الممثل لمْ يُصبْ بأذى ولكن لو حصل هذا بالواقع لسبَّبَ آلاماً مُبرحة لأشهر".

*أخبر أولادك أن العُنف ليس هو الوسيلة الأفضل لحـلّ المشاكل أو النزاعات.

*شـدّد على التصرفات الإيجابية مثل اللطف والتعاون والصداقة.

بعض الأمور التي يجب الانتباه اليها أيضاً:

- لا تستعمل التلفزيون، الفيديو، الكومبيوتر أو ألعاب الفيديو في حضانة أو تربية الأطفال.
- أطفىء التلفزيون وقت الطعام.
- أَضِىءْ التلفزيون فقط عندما يكون هنالك برنامج يستحق المشاهدة وليس للتفتيش عن شيء.
- لا تضع التلفزيون في مكان بارز من المنزل.
- يجب الانتباه لما يُشاهده الأولاد وخاصة قبل النوم لأن بعض المشاهد تؤثّر على النوم.
- استعلم عن البرامج وأفلام الفيديو الموجودة للايجار أو البيع. يجب أن يفهم أولادكم بصراحة ما هي تعليماتكم لانتقـاء البرامج وأفلام الفيديو.
- كُـنْ المثال الصالح للأولاد في استخدام التلفزيون والانترنت.
- لا تسمح للأولاد أن يقابلوا الأشخاص الذين يتحدثون معهم بواسطة الانترنت (جهاز الكومبيوتر) بدون حضوركم. وانتبه بنوع خاص لأماكن المحادثة على الكومبيوتر(Chat room) فبعضها يرتبط ببِـدع وممارسات خطرة و/ أو جنسيّة.
- نبِّـهْ الأولاد ألاّ يعطوا أية معلومات شخصية عن العائلة، المدرسة، أو المنزل أو رقم الهاتف.

-هنالك وسائل كثيرة أخرى بديلة للتسلية مثل.

- نشاطات عائلية: من نزهات، رحلات، حفلات، تخييـم؛
- رياضة؛
- ألعاب متنوّعة مثل: الورق، الشطرنج، الخ... وألعاب خارج المنزل؛
- القراءة: عـوِّدْ الأولاد على القراءة باكِراً واقرأْ لهـم باستمرار واحصر وقت مشاهدة التلفزيون؛
- الهوايات: الرسم، التلوين، أعمال الخشب، الخياطة، لعب آلات موسيقية، الخ...

خاتمـة

هذه المعلومات مستقاة من الأكاديميّة الأميركية لطب الأطفال، والجمعية الأميركية لأطباء النفس، والجمعية الطبية الأميركية، ومصادر أخرى.

تقوم هذه الجمعيات بحملات توعية للأهل والشباب والمسؤولين وباقتراح قوانين الوسائل الاعلامية ولتعاطي الناس مع هذه الوسائل.

نأمل أن يكون هذا المقال قد سلَّـطَ الضوء على "التأثيرات المحتملة" لوسائل الاعلام عندنا في العالم العربي وفي لبنان. والباقي برسم الأهل والشباب وأهل التربية والاعلام.

انحدار الرّوح القدس

عظةٌ للقدّيس يوحنّا الذّهبيّ الفم حول أعمال الرّسل (أعمال ١:١-٢)

تعريب جورج المرّ

«وَهُوَ يَظْهَرُ لَهُمْ مُدَّةَ أَرْبَعِينَ يَوْماً» (أعمال ١:٣).

لم يكن الرّبّ الآن معهم دائماً كما كان قبل القيامة، فالكاتب لا يقول «أربعين يوماً»، بل «مدّة أربعين يوماً». فقد كان يأتي ثمّ يختفي مجدّداً؛ وبهذا كان جاذباً إيّاهم إلى المفاهيم العليا، غير سامحٍ لهم في ما بعد أن يقفوا أمامه بالشّعور نفسه كما قبل، بل وآخذاً تدابير فعّالةً ليكفل كلّاً من وجوب الإيمان بحقيقة قيامته وضرورة إدراكه أبداً أنّه أعظم من الإنسان. وهذان هما شيئان متناقضان في الوقت نفسه، فثمّة كثيرٌ كان ينبغي أن يُعمَل، ممّا هو من الشّخصيّة البشريّة، بهدف الإيمان بقيامته، والعكس صحيح. غير أنّ النّتيجتين تحقّقتا، كلّاً منهما عندما حان الزّمان الملائم.

وماذا فعل عندما كان يظهر لهم مدّة الأربعين يوماً هذه؟ لماذا يقول الكاتب إنّه تكلّم معهم «عَنِ الْأُمُورِ الْمُخْتَصَّةِ بِمَلَكُوتِ اللهِ»؟ لقد أنعش التّلاميذَ بخطاباته حول المستقبل لمّا كان هؤلاء مكروبين ومضطربين من الأمور الّتي حدثت، وكانوا على وشك أن ينطلقوا كي يواجهوا مصاعب جمّة. «أَوْصَاهُمْ أَنْ لَا يَبْرَحُوا مِنْ أُورُشَلِيمَ، بَلْ يَنْتَظِرُوا مَوْعِدَ الْآبِ». لقد أخرجهم أوّلاً إلى الجليل، خائفين ومرتعدين، بهدف أن يقدروا سماع كلامه بأمان. بعدها «أَوْصَاهُمْ أَنْ لَا يَبْرَحُوا مِنْ أُورُشَلِيمَ» عندما سمعوه وقضوا معه مدّة أربعين يوماً. لماذا؟ كما أنّه لا أحد يفكّر بأن يترك الجنود يأتون لمواجهة الأسراب إلّا بعدما يتسلّحون، وكما أنّ الأحصنة لا تُترَك تنطلق من الحواجز إلّا بعدما يركبها قادة العجلات الحربيّة، كذلك لم يسمح المسيح بأن يظهر هؤلاء في الميدان قبل انحدار الرّوح، بغية ألّا يوجدوا في ظرفٍ ينهزمون فيه بسهولةٍ ويُسبَون من الكثيرين. ولم يكن هذا السّبب الوحيد، بل ثمّة أيضاً كثيرون في أورشليم ممّن يجب أن يؤمنوا. ثمّ ربّما ما لم يُقَل أيضاً هو أنّهم ذهبوا ليتنقّلوا بين الغرباء بتركهم معارفهم، وبالتّالي فهم يُظهِرون براهين قيامة المسيح بين أولئك الرّجال بالذّات الّذين حكموا على المسيح بالموت وصلبوه ودفنوه، وفي المدينة بالذّات حيث ارتُكِب العمل الجائر؛ وبهذه الطّريقة سدّوا أفواه المستنكفين الأجانب كلّهم. وعندما يَظهَر مؤمنين حتّى أولئك الّذين صلبوه، فهذا يثبت بشكلٍ دامغٍ كلّاً من حقيقة الصّلب وجور العمل، ويعطي برهاناً قويّاً على القيامة.

علاوةً على ذلك، لاحظوا من خلال هذه الكلمات كيف يُبعِد خوفهم وكربهم، خشية أن يقول الرّسل كيف بإمكاننا أن نعيش بين أناسٍ أشرارٍ ورجال دماءٍ، وهم كثرٌ ونحن قلّةٌ مزدرىً بها: «بَلْ انْتَظِرُوا مَوْعِدَ الآبِ الَّذِي سَمِعْتُمُوهُ مِنِّي». ستقولون لي متى سمعوا هذا؟ لمّا قال: «إِنَّهُ خَيْرٌ لَكُمْ أَنْ أَنْطَلِقَ، لأَنَّهُ إِنْ لَمْ أَنْطَلِقْ لاَ يَأْتِيكُمُ الْمُعَزِّي» (يوحنّا ١٦:٧). «وَأَنَا أَطْلُبُ مِنَ الآبِ فَيُعْطِيكُمْ مُعَزِّياً آخَرَ لِيَمْكُثَ مَعَكُمْ إِلَى الأَبَدِ» (يوحنّا ١٤:١٦).

لكن لماذا أتى عليهم الرّوح القدس عندما لم يكن المسيح حاضراً، ولا حتّى مباشرةً بعد رحيله، بل انحدر الرّوح «لَمَّا حَضَرَ يَوْمُ الْخَمْسِينَ» (أعمال ٢:١)، في حين أنّ المسيح صعد في اليوم الأربعين؟ وكيف قال لهم: «اقْبَلُوا الرُّوحَ الْقُدُسَ» (يوحنّا ٢٠:٢٢) إن لم يكن الرّوح لم يَجِئ بعد؟ الهدف هو أن يجعلهم مؤهّلين وقابلين لقبوله. فإذا كان دانيال قد خاف لرؤية ملاكٍ (دانيال ٨:١٧)، فكم بالحريّ هؤلاء الّذين هم على وشك أن يقبلوا نعمةً أعظم. بالتّالي إنّ ما قيل هو إمّا هذا، أو أنّ المسيح تكلّم عمّا كان سيحدث كما لو كان قد حدث قبلاً، مثل عندما قال: «لِتَدُوسُوا الْحَيَّاتِ وَالْعَقَارِبَ وَكُلَّ قُوَّةِ الْعَدُوِّ» (لو ١٠:١٩). بيد أنّه لماذا لم يكن الرّوح القدس قد أتى بعد؟ كان ملائماً وجوب أوّلاً أن يُملَكوا رغبةً تائقةً لذاك الحدث، وبعد ذلك يقبلون النّعمة. لهذا السّبب انطلق المسيح ثمّ انحدر الرّوح. فلو كان المسيح هناك، لم يكونوا لينتظروا الرّوح بالجِدّ نفسه كما فعلوا. على هذا لم يأتِ مباشرةً بعد صعود المسيح، بل بعد ثمانية أو تسعة أيّام. وهذا الأمر نفسه يحصل معنا أيضاً، فرغباتنا نحو الله تزداد أكثر عندما نكون في حاجة. ووفقاً لهذا، اختار يوحنّا إرسال تلاميذه إلى المسيح في ذلك الوقت، على الأرجح عندما شعروا بحاجتهم للمسيح، عندما كان مسجوناً. بالإضافة إلى ذلك، كان موافقاً وجوب أن تُرَى طبيعتنا في الفردوس، وأن تتمّ المصالحة، وعندها ينبغي أن ينحدر الرّوح ويكون الفرح غير مشوب. إذا كان الرّوح كان قد أتى قبلاً، ثمّ انطلق المسيح وبقي الرّوح، فالتّعزية لن تكون عظيمةً كما كانت. فقد التصقوا به في الواقع دون أن يقدروا احتمال الافتراق عنه. لذلك قال لهم كي يواسيهم: «إِنَّهُ خَيْرٌ لَكُمْ أَنْ أَنْطَلِقَ» (يوحنّا ١٦:٧). من أجل هذا أيضاً انتظر خلال تلك الأيّام الوسيطة بأن يقنّطوا لبرهةٍ، ويتكوّن لديهم

شعور الحاجة إليه كما قلت، وبعدها يجنون فرحاً كاملاً غير مشوب. غير أنّه إذا كان الرّوح أدنى من الابن، فالتّعزية لن تكون وافية؛ وعندها كيف قَدِر أن يقول: «إِنَّهُ خَيْرٌ لَكُمْ»؟ لهذا السّبب حُفِظت المسائل التّعليميّة الكبرى للرّوح حتّى لا يعتقد التّلاميذ أنّه أدنى.

لاحظوا أيضاً كم جعل بقاءهم في أورشليم ضرورياً من خلال وعده بأنّ الرّوح سيعطى لهم. فقد أبقاهم في ذلك الموضع، كما برباطٍ، متوقّعاً خشية هروبهم مجدّداً بعد صعوده. لكن عندما قال: «مَوْعِدَ الآبِ الَّذِي سَمِعْتُمُوهُ مِنِّي»، أضاف بعدها: «لأَنَّ يُوحَنَّا عَمَّدَ بِالْمَاءِ، وَأَمَّا أَنْتُمْ فَسَتَتَعَمَّدُونَ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ، لَيْسَ بَعْدَ هذِهِ الأَيَّامِ بِكَثِيرٍ». إنّه يعطيهم الآن فعلاً أن يروا بوضوحٍ الفرق الّذي كان بينه وبين يوحنّا، وليس بتلميحاتٍ غامضةٍ كما كان حتّى الآن؛ فقد تكلّم في الواقع بغموضٍ كبيرٍ عندما قال: «وَلكِن الأَصْغَرَ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ أَعْظَمُ مِنْهُ» (متّى ١١:١١)، غير أنّه يقول الآن بصراحةٍ: «يُوحَنَّا عَمَّدَ بِالْمَاءِ، وَأَمَّا أَنْتُمْ فَسَتَتَعَمَّدُونَ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ». ولم يعد بعد يستخدم الشّهادة، بل يشير فقط إلى شخص يوحنّا، مُذكِّراً التّلاميذ بما قاله، ومُبيِّناً لهم أنّهم أصبحوا الآن أعظم من يوحنّا، نظراً إلى أنّهم سيعتمدون هم أيضاً بالرّوح. وأيضاً لم يَقُل: «سأعمّدكم بالرّوح القدس»، بل «سَتَتَعَمَّدُونَ»، مُعلِّماً إيّانا بذا التّواضع، فقد كان واضحاً كفايةً من شهادة يوحنّا أنّ المسيح نفسه من سيُعمِّد: «هُوَ سَيُعَمِّدُكُمْ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ وَنَارٍ» (لوقا ٣:٦)؛ ولهذا السّبب أيضاً أتى على ذكر يوحنّا.

إنّ الأناجيل بالتّالي هي تاريخٌ لما فعل المسيح وقاله، ولكنّ سفر الأعمال هو لما قاله وعمله «المعزّي الآخر». لا بل إنّ الرّوح عمل أشياء كثيرةً في الأناجيل أيضاً، كما أنّ المسيح هنا في سفر الأعمال لا زال يعمل في النّاس كما في الأناجيل: فقد عمل حينذاك في الهيكل فقط، لكن الآن في الرّسل؛ لقد حلّ حينذاك على بطن العذراء وصنع الهيكل، لكن الآن في أنفس الرّسل؛ حينذاك بهيئة حمامةٍ، والآن بهيئة نار. لماذا؟ إنّه يضع الآن في أذهانهم الدّينونة أيضاً، مُبيِّناً هناك دماثة الرّب، لكنّه آخذٌ هنا انتاقمه أيضاً. فلمّا كانت الحاجة للغفران، كانت الحاجة للكثير من الدّماثة؛ غير أنّنا حصلنا الآن على العطيّة، وتالياً إنّه زمان دينونةٍ وامتحان.

لكن ما سبب قوله «سَتَتَعَمَّدُونَ» في حين لم يكن ثمّة في الواقع مياهٌ في العلّيّة؟ السّبب أنّ الرّوح هو الجزء الأهمّ في المعموديّة، والّذي من خلاله تمتلك المياه فعليّاً قوّتها. وبالطّريقة نفسها يقال عن المسيح إنّه مُسِح، لا لأنّه مُسِح بالزّيت أبداً، بل لأنّه أخذ الرّوح. بالإضافة إلى ذلك، نجدهم في الواقع يعتمدون بالماء، وذلك في أوقاتٍ مختلفة. إنّ الاثنين يحصلون في حالتنا في الوقت نفسه، لكنّهما كانا منفصلين آنذاك، فقد اعتمدوا بدايةً من يوحنّا. وبما أنّ الزّواني والعشّارين ذهبوا إلى تلك المعموديّة، فكم بالحريّ أولئك الّذين كانوا سيعتمدون بعد ذلك من الرّوح القدس. ثمّ يضيف: «لَيْسَ بَعْدَ هذِهِ الأَيَّامِ بِكَثِيرٍ» كي لا يقول الرّسل بأنّه أعطي لهم دائماً بالوعود (يوحنّا ١٤:١٥-١٦)، فالمسيح فعلاً كان قد تحدّث إليهم كثيراً حول الرّوح، كي لا يتصوّروه طاقةً أو فعلاً غير شَخْصيَّين. هذا ولم يوضّح متى، بغية أن يسهروا دائماً، ولكنّه قال لهم إنّ هذا سيحدث قريباً كي لا يضعفوا؛ بل وامتنع عن إضافة الوقت المحدّد من أجل أن يكونوا يقظين دائماً. ولم يطمئنهم من خلال هذا فقط، أعني بقصر الزّمان، بل بالإضافة لذلك بقوله: «الْمَوْعِدَ الَّذِي سَمِعْتُمُوهُ مِنِّي». فقال بهذا إنّها ليست المرّة الوحيدة الّتي أخبرتكم فيها، بل وعدتكم سابقاً بما سأنفّذه بشكلٍ مؤكّد. ما العجب إذاً أنّه لا يفيد عن يوم الإتمام الأخير، مختاراً عدم كشف هذا النّهار الّذي لم يكن ببعيد؟ التّبرير هو أن يكونوا أبداً يقظين، وفي حالة ترقّبٍ وانتباهٍ جدّيّ.

فلا يمكن للإنسان أن يتمتّع بفائدة النّعمة إلّا إذا سهر...

Bibliography:

Chrysostom, St. John. “Homily I.” Trans. Philip Schaff. Nicene and Post-Nicene Fathers, Series I, Vol. 11. Print.

معتمدو التوزيع

دمشق: **وكالات الكنائس ود. رياض عربجي**

جديدة عرطوز: **الأب يوحنا رزق**

حرستا: **الأب جبرائيل كحيلا**

دمر: **الأب د. يوحنا اللاطي**

صيدنايا: **الأب جورج نجمة**

معلولا: **السيد يوسف سنجار**

الزبداني: **السيد فؤاد الخولي**

بلودان: **الآنسة ثناء الخوري**

عرنة: **السيد فؤاد سمعان**

عربين: **السيد أسعد راجحة**

داريا: **المهندس حنين بدرا**

صحنايا: **الأب اليان وهبة**

حمص: **السيد عيسى ديوب**

حماة: **السيد رامي بشور**

مشتى الحلو: **الأب مروان الحلو**

طرطوس: **اللجنة الثقافية**

صافيتا: **السيد بشور جبور**

اللاذقية: **مطرانية اللاذقية للروم الأرثوذكس**

السويداء: **الأب بطرس بشارة**

حلب: **الأب الياس رزق**

البلمند: **الأب جبران اللاطي**

صور وصيدا: **مطرانية صور وصيدا للروم الأرثوذكس**

أميركا الشمالية: **الأب جورج بعلبكي**

كندا: **المتقدم في الكهنة الأب بولس خياط**

البرازيل: **مطرانية الروم الأرثوذكس**

انكلترا: **الأب سمير غلام**

اليونان: **السيد نبيل الصايغ**

ألمانيا: **الدكتور سامي ديراني**

استراليا: **الأب ميشيل زغيب**